





# الحب على كرسي متحرك

فؤاد قنديل

89
Q

# الحب على كرسى متحرك

## مختارات قصصية

فؤاد قنديل

وزارة الثقافة



سلسلة
مختارات

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير عام النشر
ابتهال العسلى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• الحب على كرسى متحرك
• فؤاد قنديل
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2014م
• تصميم الغلاف:
أحمد فؤاد صالح
• رقم الإيداع: ٢٥٣٩/ ٢٠١٤
• الترقيم الدولى: 978-977-718-636-0
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

3

سلسلة شهرية تعنى بنشر مختارات أدبية
لأبرز الكتاب والشعراء المصريين

• هيئة التحرير •
رئيس التحرير
أحمد سويلم
مدير التحرير
محمود سيف الدين
سكرتير التحرير
شعبان ناجى

الأراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

# الحب على كرسى متحرك

# مظاهرة بالآيس كريم

لم ألتفت فى البداية إلى أن يدها المبللة بالعرق الغزير تتسلل من يدى. كنت مشدودا بكل حواسى للجموع المستنفرة.. الوجوه جادة وعابسة ... الأصوات ترتفع وتقذف هتافاتها الهادرة نحو السماء.. آلاف الأذرع تندفع وتثقب الفضاءات الغائمة.

- يا والدى اطلع على الرصيف .. هل مثلك يخرج فى يوم كهذا ؟ !

قال شاب وهو يدفعنى بحذر.

- لم أكن متنبها إلى أنى وإلهام أصبحنا فى نهر الشارع.. حرصت على أن نظل طوال المظاهرة واقفين أو سائرين على الرصيف، من الطبيعى ألا نحتمل التدافع.. الأجساد العفية تدق الأرض، وتحاول أن تزلزلها تحت أقدام الفاسدين والطغاة.

كهول وشباب وبنات صغيرات وفتيان وصبية يشكلون كيانا أسطوريا زاحفا بثقة وقوة يجتاح الشوارع ويلتحم بالجنود المدججين بالدروع والعصى والخوذات وقبل كل ذلك أوامر الرؤساء المشددة بتكسير عظام المارقين الذين يهددون أمن البلاد.

كيف تسللت يدها المسقية بالعرق من كفي وتهاوت على الأرض وتمددت فاقدة للقدرة على الحركة وأغمضت عينيها كأنها...؟!

جلست إلى جوارها مكوما بشيخوختي أمسح شعرها الأبيض.. لم أتنبه إلى دموعي التي سقطت على وجهها المتغضن الذى تراجعت منه الدماء واصفرت أوراقه.. ندمت لأنى لم أسرع بها عائدا إلى البيت عندما هبت العاصفة وتدفقت فى الشوارع أنهار البشرالذين فيما يبدو لزموا الصمت فى انتظار الفرج، وقد أدركوا فيما يبدو أنهم وهم يتمادون فى الانتظار ضاعت حقوقهم، ونهب المتنفذون كل ما وفرته الأجيال السابقة واللاحقة.

رقص قلبي، فقد فتحت عينيها وابتسمت ابتسامة واهنة لكنها كانت كافية كى تلمع عيناها ويشرق على وجهها تاريخ طويل من الطيبة والمحبة.. هذا الوجه الوديع الذى يرافقنى على مدى يتجاوز الخمسين عاما.

تسللت كفاى من تحت ظهرها ورفعت جذعها وأخذتها بين أحضانى وخفيفا ضغطت.. شعرت أن مطرا يروى أرضا متشققة من الظمأ تمتد بطول قلبي وعرضه.. هاهى الخضرة النضرة تنبت

بصحراء صدرى القاحلة، وبعدها أطلت زهرات صغيرة بيضاء من الياسمين والقرنفل.. ابتسمت الزهرات الصغيرة عندما ابتسمت إلهام المنهكة.. حاولنا أن نتجنب الأقدام المندفعة والأجساد العنيدة الزاحفة برغبة جياشة وعاتية فى المواجهة المصيرية.. لكنها فشلت فى كثير من الحالات.. كانت الهتافات ما تزال تطلب الحرية والعدل.. لا ندرى بالضبط ممن يطلبونها، هل يمكن أن يمنحها أحد لأحد خاصة بعد أن ترسخ غيابها وطال مقامها لدى الذين احتلوا القصر الكبير؟

شملها سهوم.. كانت أفكارها تحوم بعيدا. طاف بخاطرى ما تصورتها فكرت فيه.

- إلى متى يظل هؤلاء المطحونون يطلبون الحرية والعدل ولا يكاد يجد أحد لهما أثر فى حياته؟.. ما الذى يحدث لكل من يقفز كالقرد إلى السلطة، ويظل يحشو فمه وبطنه بالموز حتى يوشك على الانفجار؟!.. القرد يصاب بصرع الموز، حتى أنه لا يستطيع أن يسمع أو يرى أحوال الناس الذين لا حول لهم ولا قوة بينما ينتشر فى كل مكان عملاء القصر، سألتنى وهى تنتزع الكلمات بصعوبة من صدرها، ولا تكاد تجد صوتها:

- هل تذكر أول مظاهرة اشتركنا فيها؟

تنهدت.. لم أجد عسرا فى تذكر ما جرى.. كانت أول مظاهرة منذ ثلاثة وأربعين عاما.. بالضبط سنة ١٩٦٨ بعد أن صدرت أحكام هزيلة ضد بعض من تسببوا فى هزيمة ١٩٦٧.. كل هذه السنوات

لا تزيد عن حفنة رمل فى قعر كفى.. أستطيع بطرف أصبعى أن ألتقط من بينها ما أشاء. عمرى كله حفنة رمل.

قلت لها :

- ساعدينى كى أحملك إلى الرصيف

أغمضت عينيها.. تأملت رموشها.. فى شبابها كانت طويلة وكثيفة.. تناثرت الآن ونحلت، لكنها فى نظرى بدت أجمل من ذى قبل.. اختطفنى من تأمل ملامحها المستسلمة تواصل اندفاعات الشباب المدوية حولنا ونحن كومة من السنين المهترئة، تعودنا بإرادتنا أو بالصدفة أن نشارك فى الغضب العام.. هل يمكن فى هذه المرة أن يحصل من يهزون الشجرة على بعض الثمار؟

فتحت عينيها وابتسمت.. ربما عبر رأسها المجهد ما فكرت فيه. تذكرت ما كان علىّ أن أفعله.. حملتها إلى الرصيف ودهشت لفرط هشاشة جسدها وكأنى أستشعرها للمرة الأولى.. لم أكن أستطيع حملها حتى عهد قريب.. أسرعت أبحث عن محل أيس كريم.. دلنى بائع الصحف عليه.. كان قريبا.. أحضرت لى ولها الحلوى المثلجة التى تحبها.. مضت الجماهير تهتف ومضينا نلعق الأيس كريم فى تلذذ.. عينى عليها أتابع شفتيها لأطمئن على أنها راضية.. هكذا كنت دائما منذ أن أصبحت إلهام أرضى وكتابى وحديقتى.

غادرنا الكلية فى ذلك اليوم من ستينيات القرن العشرين كى نقضى ساعة معا على النيل ثم نستقل الأتوبيس النهرى إلى الضفة

الأخرى ثم نمشى معا حتى أول شارع خيرت الذى تسكن فيه قريبا من ميدان لاظوغلى.. دنت منا الجموع الهادرة.. قالت:

- هيا بنا ننضم إليهم

رحبت بالفكرة جدا.. كنت قد عزمت أن أوصلها ثم ألحق وحدى بالمظاهرة.. قبضت على كفها ودخلنا بقوة بطن الحشود.. هتفنا مع المطالبين بالقصاص.. تعالى الانفعال واحتدم.. كنت مستعدا للمشاركة فى ضرب من يوقفنا.. لم تمر لحظات حتى داهمتنا الشرطة فى أول شارع قصر العينى.. لم نتوقف.. ضربونا بالعصى. هجمنا عليهم. دفعونا بالدروع.. وجهنا لهم اللكمات وقذفناهم بأرجلنا.

.. هبطت على كتفى عصا غليظةتبعتها أخرى على رأسى. لم أتألم وأنا فى غمرة الحماس، لكنى فقدت الوعى لحظة، ثم استعدته.. فوجئت بإلهام تلتقط فى سرعة البرق فردة حذاءها وتضرب بها الجندى ضربات متلاحقة وتسبه.. وسرعان ما فعلت مثلها فتيات أخريات.. زاد هجومنا إلى أن تغلبنا عليهم.. تراجعوا أمامنا..

مال الميزان قليلا لصالحهم بعد أن سقطت علينا القنابل المسيلة للدموع.. لم تحتمل إلهام وانحرفت بعيدا وتبعتها حتى ابتعدنا وهى توشك على الاختناق.

وقفنا أمام محل عصير.. عرضت عليها أن أشترى لها عصير مانجو أو عصير قصب. رفضت وطلبت الانصراف.. كان عودها

النحيل يضطرب تحت وقع الكحة التى توالت بصورة ملحة وغريبة. كانت عيناها تسترق النظرات للشباب المندفع.. بداخلنا دون أن نصرح كمنت حالة من الفرح لمجرد التعبير عن عدم الرضا ورفض ما يفرض علينا.

تحت محل أيس كريم.. كنت مشغولا بفكرة تغيير الحالة ولو مؤقتا.. قلت: - سوف آكل الأيس كريم .. ما رأيك؟

حاولت أن تتنفس بعمق. بدا أن صدرها ضيق.. تنفست بصعوبة .. سحبتها إلى شارع جانبى وجلسنا فى حديقة صغيرة نلعق الأيس كريم.. لعقته ببطء وتلذذ.. كنا سعداء كأطفال فى يوم عيد.. أحسست فجأة بألم الضرب على كتفى ورأسى.. تشاغلت عنه.. التحامنا بالناس جعلنى راغبا فى الجرى وممارسة الملاكمة التى تدربت عليها فى فترة المراهقة وأفزعنى أن عرفت بنية المدرب كسر أنفى بلكمة خاطفة وقوية. قررت التخلى عنها.. الآن أستشعر الحاجة إليها.

تذكرت أن اليوم عيد ميلادها وقد خرجنا لنشترى لها هدية.. قلت لها:

- كل سنة وأنت طيبة يا ست البنات

ضحكت وكانت تفرح كثيرا كلما قلت لها.. يا ست البنات. واليوم بلغت الستين من عمرها فقد ولدت عام ١٩٥١ . عرفتها فى آخر لحظة قبل أن أغادر الكلية تماما. كنت فى السنة الرابعة وهى بالسنة الأولى.. كان ذلك قبل الامتحان بشهر.. خرجنا معا فى

مظاهرات ٧١ و ٧٢ للمطالبة بإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب وطرد الاحتلال الصهيوني الذى يدنس سيناء، وفى كل مظاهرة أكلنا الأيس كريم .. أعرف أنها مسألة غريبة وملتبسة لكنها غير مقصودة .. كثيرا ما سألت نفسي كيف كنا نعثر بسهولة وفى عز المظاهرات والضرب والانفعال والهروب والمواجهات الدامية على محلات الأيس كريم عندما تخطر ببالنا؟، ولماذا وكيف من الأصل تخطر ببالنا؟.

فى يومى ١٨و١٩ يناير ١٩٧٧ كان خروجنا مقصودا وكنا قد تزوجنا وأنجبنا كرم وسهام، وتركناهما فى سريريهما نائمين .. كنت قد علمت بنبأ المظاهرة فتسللت خارجا لولا أن لمحتنى إلهام وأدركت ما عزمت عليه فانتعلت حذاء خفيفا ووشاحا وانطلقت معى .. كان الجنون بالفعل قد وجد سكنا لائقا به فى عقولنا .. والسبب فيما يبدو أنها مثلى قد أيقنت بالعشرة أن أجمل ما فى الحياة الذكريات، وأزيد عنها فيما أظن إيمانى بأن التكافل من أجل الكرامة والحرية مطلوب لأننا جميعا فى قارب واحد.

فى اليوم الأول اشتريت لها الأيس كريم ثلاث مرات وفى كل مرة نتلقى الضربات وتدهمنا الأجساد المندفعة فيسقط الأيس كريم .. نكون قد سرنا فى مظاهرة وحدث فيها ما حدث من كر وفر وهجوم منا وعدوان شرس من الشرطة، ثم تنفض فأشترى الأيس وسرعان ما تندلع من جديد ونفاجأ بها تهب كعاصفة و تلفحنا نيرانها ويسقط الأيس .. فى آخر مرة بعد أن سقطت الحلوى اللذيذة جلسنا على

الرصيف وأخذنا نضحك ، ثم توقفنا فجأة عندما تطلعنا إلى المشهد الصادم والموجع . . الشوارع معتمة والتخريب كبير والجرحى أيضا كثيرون وأشياء كثيرة محترقة وحالة عارمة من الفوضى لحقت حتى بالشجر وشوهت عددا من المبانى دون أن تستسلم الشرطة ولا الجماهير . . هربنا داخل محل تنجيد كراسي سيارات تركه صاحبه وأسرعت بإنزال الباب الصاج علينا عندما بدأوا بصورة محمومة التقاط كل من تقع عليه عيونهم . . أخذتها بين أحضاني فاستسلمت ولما قبلتها انسحبت من بين ذراعى فى حدة مبتسمة وقالت :

- حبكت ! !

عدت أعانقها فطيبت خاطرى وترفقت بمشاعرى غير المبررة من وجهة نظرها . . جلسنا على كنبة وسرعان ما قفزنا مبتعدين فقد كانت على " السست " فقط فانتقلنا إلى غيرها . . ضحكنا ، وظللنا نضحك كلما تذكرنا تلك الأيام .

عزمت اليوم بعد أن تتداعى المظاهرة ويتناثر الناس وتشرع اللوريات الخضراء فى جمع الجنود المنهكين على أن نتحرك باتجاه شارع الصاغة لأشترى لها هدية ثمينة لعيد ميلادها . . لكن عدد المتظاهرين كان للغرابة يزداد بشكل مطرد وكثيف . . نظرت إليها وكانت شاردة . . قالت :

- فى عام ٦٨ خرجنا مع المتظاهرين نطلب القصاص ، وفى عام ٧١ خرجنا نطلب الحرية من المحتلين وفى عام ٧٧ خرجنا نطلب الخبز ، واليوم يصعب على الحصر ما نطلبه .

ناولتها يدى حتى تنهض.. وقفت وتنفست بعمق.. قلت لها:

- هل ستخرجين معى فى المظاهرة القادمة؟

قالت بعد لحظة وهى تبتسم:

- المهم أن يتوفر الأيس كريم

ضحكنا، وكنت أبالغ فى ضحكى بعد أن لاحظت أنها استعادت بعض عافيتها.. سألتها عما تحب أن أقدمه لها هدية فى عيد ميلادها .. ابتسمت ابتسامتها الوديعة التى تضىء العالم. طال صمتها.. شجعتها قائلا:

- اطلبى ما تشائين.

دنت منى وقبلت خدى.. وضعت يدى على صدرها.. كان قلبها يدق بسرعة دقات واهنة.. كاد الدمع يفر من عينى.. قالت:

- ربنا يخليك لنا.. أنت هديتى

عندئذ انفجر نبع الدمع وسال من عينى ثم من عينيها.. تعانقنا.. بداخلنا سكن العالم وتمدد فى هدوء. بدا أننا نقبع فى منطقة نائية على تخوم الدنيا الحزينة ووجه الشمس الغاربة يودعنا بحنان. منذ الصباح لم نر أثرا للحمام ولا للعصافير.. حلقت بعضها فوق رؤوسنا وزقزقت العصافير وطاردت بعضها.. علت وانخفضت.. عبرت عن بهجتها بانتهاء الصخب والعنف.. لم تفرح طويلا فقد بلغتنا أصوات عالية.. كان الجنود المدججون بالدروع والعصى والخوذات والأوامر الغليظة يطاردون مجموعات كبيرة من الشباب، والشباب يتصدون لهم ويشكلون جدارا

متماسكا وقويا لا يتأثر بالضرب ولا بالقنابل.

قالت إلهام:

- الشعب يطارد الشعب

قلت:

- الشرطة أدوات السلطة

تنهدت بأسي.. أشفقت عليها.. مددت يدى وأمسكت بيدها التى كانت لا تزال مبللة.. قمنا ننقش الخطو الوئيد على أرض صلبة وعنيدة.. تدريجيا دبت العافية في رفيقتي.. مضينا إلى محلات الذهب.. قالت:

- لا داعى للتكاليف.. تكفى وردة.. يجب أن نعود.. سوف يملأ الأولاد والأحفاد بيتنا بالهدايا والحلوى.

عزمت على أن أهديها خاتما ومعه باقة من الورد الذى تحبه.. هديتى غير هدية الأبناء.. رحب بنا نصيف فى محله الذى اعتدنا الشراء منه.. وافقت على الخاتم الذى اختاره نصيف.. مضت تتأمله وهو فى أصبعها.. كان رائعا بالفعل.. قلت لها:

- حان وقت الأيس كريم

من قلبها ضحكت.. احمر لأول مرة وجهها الذى فقد بهاءه مذ خرجنا فى الصباح

- نأكله في المظاهرة القادمة

لا أدرى لماذا شعرت بحالة من القلق بعد أن نفذت عبارتها إلى أعماقى.. قلت:

- ليتنا لا نحتاج إليها

عندما انتهينا من الأيس كريم ودارت الألسنة في الحلوق تتذوق آثاره اللذيذة.. رن عاليا محمولي فانتفضت وجاءني صوت ابنتي سهام صارخا ومتعجلا :

تامر في المستشفى بعد أن تلقى ضربات عنيفة في المظاهرة.. صرخت زوجتي عندما علمت.. ضربت صدرها وهي تصرخ :

- حبيب قلبي.. اطلب تاكسي بسرعة

بربع لسان فقد تحطمت أحرف الكلمات قال تامر أصغر أبنائنا بينما وجهه ملتف بالأربطة :

- أبدا.. لن نتركهم يسرقون البلد

أنا وأمه تبادلنا النظرات وتنهدنا.. لم أفهم السر في أني شعرت ببعض الرضا رغم حالة تامر.. جميل أن يكون في الدنيا بشر لا يعرفون الانكسار.. مضينا نحدق في وجهه ونبحث عن ملامح.

من مجموعة " ميلاد فى التحرير"

# الحب على كرسى متحرك

لم أستبشر خيرا عندما صدم عينىَ مشهد الجنود المدججين بكل ما يلزم لسحق المتظاهرين.. كنت قد تأخرت لحظات، ولما دخلت المسجد كان الخطيب قد صعد المنبر والمؤذن يؤذن للصلاة، لم أجد الشيخ عبد الرشيد ابن عمى، بل شخصا آخر طويل القامة ذا شارب كث وعينين واسعتين، وله فم واسع وأسنان لامعة وصوت عال حاد النبرات، لا يشعر المستمع بأنه يتحدث من القلب. بدا كإنسان آلى. إذن فالأمن استبدل هذا الشخص بالشيخ عبد الرشيد اليوم بالذات. عندما بدأ خطبته: بقول الله تعالى «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» أدرك الحضور ونحن فى ثورة أن هذا الرجل البديل جاء ليرد المتظاهرين عن أهدافهم مستخدما النصوص الدينية كدروع فى غير موضعها أى أنه مثل الجنود الذين يحتشدون

بالمئات خارج المسجد، وقال فيما قال: لابد للجميع أن يستمعوا لصوت الحكمة، وسندنا فى هذا ما ورد بالذكر الحكيم "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"، وهو صوت مطلوب فى هذه المرحلة الملتبسة التى يختلط بها الحق بالباطل، الصواب بالخطأ.. علينا جميعا على الأقل وإلى أن تنجلى حقيقة الأمور أن نرفض من أعماقنا العنف ولا نشجع الانفلات، لأنهما سيؤديان لزيادة الاحتقان وأحذركم ونفسى من النار المشتعلة التى ستلتهم الكل وسوف تغرق السفينة التى تحملنا إلى بر الأمان.

تحمل المصلون كلام الخطيب العجيب والمستفز على مضض. لم يبدر من بعضهم إلا الهمهمة ونفثات الغضب المكتوم.. كانت كلماته تخبط مشاعرهم وتصفع أعصابهم الملتهبة وهو يحاول صب المياه الباردة على النار مقتنعا أنه لجهله المفرط يقدم خدمة جليلة للوطن.

أخيرا أعلن عن قيام الصلاة فتنهد الجميع تنهدات الخلاص وارتفعت عن صدورهم صخرة الغباء والتملق، وما إن انتهت الصلاة حتى هتف المصلون داخل المسجد حتى كادت الجدران أن تتهاوى والسقف أن يسقط من زلزلة الصوت الهادر: حرية.. حرية.. وتشكل بسرعة كيان ضخم متحد ومتماسك من البشر. مضى يتدفق حتى امتلأ بهم الميدان عن آخره وتمدد فى الشوارع المفتوحة عليه.، وسرعان ما انضم إلى المسلمين مئات المسيحيين الذين كانوا قد تجمعوا أمام كنيسة شارع مراد.. صدرت الأوامر لجنود الأمن

المركزى بالتصدى للمظاهرة حتى لا تأخذ طريقها إلى ميدان التحرير.. دمدم الجنود المحمية رؤوسهم بالخوذات ذات الدروع الصغيرة التى تحمى الوجوه بالإضافة إلى الدروع المحمولة على السواعد وتكاد تحمى الجسد كله، وبأيدى الجنود عصىّ حديثة.. هجم الجنود على المتظاهرين. وضربوهم بعنف بالغ كأنهم يحاولون الانتقام من قتلة إخوتهم أو آبائهم. قاوم الشباب ودفعوا الجنود إلى الوراء.. زاد الضرب وبدأ التعامل مع المتظاهرين بقنابل الغاز المسيلة للدموع وكانت من أحدث ما أخرجته المصانع الأمريكية ضمن خطة تحديث آليات وزارة الداخلية، وقال لى صديق مطلع أنها جزء من المعونة الأمريكية لمصر والتى يقبل الرئيس من أجلها أى شروط أمريكية حتى لو ضد مصالح الشعب. أى تبديد القرار المصرى فى مقابل قنابل يضرب بها الشعب المصرى.. كنت أجلس على الكرسى على الرصيف تحت عمارة الشهر العقارى عازما على الاشتراك فى المظاهرة ولو فى الصفوف الخلفية.. لم أشترك فى مظاهرة منذ كنت طالبا فى مدرسة الصنايع الثانوية حيث تخصصت فى الزخرفة.. كان عمرى ١٧ سنة وطلعت فى مظاهرات ٦٨ محتجا ومغتاظا من الأحكام التى صدرت ضد قادة الطيران بعد هزيمة ٦٧، ولم أشارك فى مظاهرات ٧١، ٧٢ لأن الجيش طلبنى للخدمة العسكرية، ولم أشارك فى مظاهرات يناير ٧٧، لأنى كنت أصبت فى الحرب.. كان نفسى جدا أخرج فى ٧٧ لكنى لم أعرف بها إلا متأخرا وكانت يومين فقط ولم تكن منظمة مثل تظاهرات

هذه الأيام... أوشكت على البكاء، لكنى كبحت الدموع. كنت أتمنى فى هذه اللحظة بالذات أن أكون بعافيتى. قادرا على تقدم الصفوف وقيادة المظاهرة، بل ساورتنى أحاسيس جياشة تدفعنى للنهوض. نصفى العلوى ينهض بينما السفلى قعيد. عادت غدد الدموع تتأهب لإفراز مخزونها. لكنى كبحتها بعد ما رأيت سحب الدخان الكثيف تهاجم الجميع. تعالت مع الهتافات أصوات السعال بسبب خلو الفضاء من الأوكسيجين وبسبب التأثير المدمر للغازات على الجهاز التنفسى من الأنف إلى الرئتين.. سقطت بعض البنات. زادت القنابل وغطى الدخان الجميع.. ألقى سكان العمارات من الشرفات زجاجات الخل.. التقطها الشباب وصبوا منها على المناديل والكوفيات وصبوا للبنات على أطراف الطرح وأغطية الرؤوس واستخدموها كمامات... رمى آخرون يسكنون الأدوار الأرضية البصل والثوم، وناول أصحاب المحلات الشباب زجاجات المياه الغازية التى وزعوها على المتظاهرين ليتجرع كل منهم جرعة، وبعضهم احتفن واكتفى بغسل وجهه وعينيه بالمياه الغازية. خرج د. صليب من الصيدلية المجاورة التى كنت أرتكن إلى جوارها ونادى عددا من الشباب كى يأخذوا منه ما يحمل من بخاخات الهواء وزجاجات قطرة العين.

رغم السعال والتهاب العيون كانت الجموع تهتف: مش ح نسلم.. مش ح نطاطى. احنا كرهنا الصوت الواطى. تكرر الهتاف عدة مرات، ولما زاد الضرب لمحت عجوزا يمسك بكم جندى منع

نفسه من دفعه فى لحظة استثنائية ويصرخ فى وجهه رغم قرب المسافة فقد كان يحاول توصيل رسالة : يا عسكرى يا غلبان قول والنبى بتقبض كام. ردد الآلاف وراء العجوز كلماته البسيطة . . كررها العجوز عدة مرّات ، لكن الجنود لم تكن تسمع غير الأوامر ، ولا ترى غير وجوه الضباط . . الضرب يتوالى بلا رحمة وعدد المصابين بالاختناق والإغماء والجروح يتزايدون ،وبينما الشباب يسرع بنقل المصابين خارج ميدان المعركة داخل الصيدليات والعيادات وفى مداخل العمارات للإسعاف كنت أرى الدم المراق يرسم على ملابس المصابين وعلى مساحات صغيرة من الأرض ملامح الوطن الذى يمسح دموعه ويرفع رأسه ويتطهر بالدم ويكتب به أيضا أهدافه بخط واضح ومشرق وصارخ. عروقى تنبض بشدة داخل جسدى وعبر أذرعى المتحفزة . . ما أبشع العجز ؟؟ . . لكنى لن أبقى عاجزاً إلى الأبد . . اليوم فرصتى لأشارك المتظاهرين طلعة الوطن . . طلعة واحدة من أجل الوطن . . قوّينى يا رب .

تعودت منذ عشرين عاما أن أصلى الجمعة فى مسجد الاستقامة بميدان الجيزة ، لأنى أقيم على بعد خطوات منه وبالتحديد فى شارع الصناديلى ، كما أن الخطيب الدائم للمسجد هو الشيخ عبد الرشيد ابن عمى ، وكثيرون يحرصون على الحضور استمتاعا بخطبته البليغة والجريئة التى تمزج الماضى بالحاضر وتصحح الكثير من المفاهيم وتدعو إلى الدين المعتدل و المستنير وتعلو فوق السفاسف والمواقف المتصلبة .

سكنت الدور الأرضى بعد حرب ١٩٧٣ . كنت قد تلقيت دفعة رشاش في ساقيّ من جندى إسرائيلى كان مختبئا تحت دبابة بعد أن دمرنا عدة دبابات وأسرنا معظم جنودها . . أصبت إصابة شديدة أعجزتنى .سلمتنى القوات المسلحة كرسيا متحركا أتنقل به وكان لابد أن أظل به من الصباح إلى المساء . استعنت بأولاد الحلال حتى استأجرت الشقة التى أقيم فيها وكان شرطى الوحيد أن تكون بالدور الأرضى حتى أستطيع أن أذهب إلى دكانى القريب فأنا لا أحتمل القيود ولا الحبسة . فتحت الدكان لممارسة هوايتى فى الرسم والزخرفة وكتابة اللافتات بخطى الجميل و كذلك بيع اللوحات . . رسمت الكثير من أغلفة الكتب ، كما كتبت مئات اللافتات للمحلات فى القاهرة والفيوم وبنى سويف وشبرا الخيمة . . يأتى أصحاب المحلات والشركات إلى بالذات كى يطلبوا إلى تنفيذ خطوطهم ورسومهم ومعى فى المحل مساعدى الوحيد جوزيف ابن فهيم صاحب العمارة .

فى يوم جمعة الغضب سبقنى ولداى تامر وهيثم إلى المسجد . طلبت الصغيرة التى لم تتجاوز الخامسة عشرة أن تدفعنى . حاولت منعها على أساس أنى لا أدير عجلات الكرسى بيديّ ولستُ بحاجة لخدماتها ، قالت إنها ذاهبة للصلاة فى المسجد .

قلت لها : ابقى مع والدتك لتساعديها فى تجهيز الغداء .

قالت على الفور كأنها تنهى النقاش : أمى ستلحق بنا بعد دقائق

شملتنى البهجة برد ابنتى ومضينا إلى المسجد . . نحن جميعا

نصلي لله لنشكره على أفضاله وندعوه كي يزيح الغمة. أسفت لأن ولدى الأكبر الذى تزوج منذ سنوات ويعيش بعيدا عنى يدخن ولا يحرص على الصلاة.. لماذا يتهرب الكثير من الشباب من الصلاة وكأنها تدعو إلى الانحراف أو تدفع للكراهية.. الصلاة متعة وحوار مع الله وتصفية للنفس وتخفيف للآلام ودعوة متجددة للتمسك بالفضيلة وغسل الروح. .أنا حزين لأن الكثيرين لا يدركون ذلك، بل ويقاومون إذا حاول من أكرمهم الله بالهدى أن يبينوا أثرها وجدواها على الناس والحياة.. الصلاة بالذات إذا تمت بإخلاص كانت صمام الأمان الذى يدفع المشكلات. على أية حال له فى خلقه شئون.

فوجئت بمن يضع يده على كتفى بحنان: يا عم باز.. لماذا تخرج من بيتك يوم القيامة؟

هذا الصوت أعرفه. ليس معقولا أن يكون هو. صوت مميز وخشن وكأنه سكين يمر على زجاج مشروخ. هذا الصوت لا يكون لأحد إلا لجارى الغبى ذى الشخصية اللزجة. اسمه كامل.. الاسم لطوبة والفعل لأمشير. شخص لا أطيقه وأكرهه كره العمى. إنسان مزعج لغاية الغاية. لا عمل له طول اليوم إلا تجاوز الحدود وسب كل العابرين، ومن يستند إلى جدار بيته يلعن أهله. يغسل سيارته التى تشبه القنفذ وتسير كالسلحفاة وتخرج عادما يسود وجوه مليون إنسان، وتظل تعطس وتسعل طوال الطريق. يعرفها كل سكان مدينة الجيزة من نزلة السمان حتى أرض اللوا والبحر الأعظم

والمنيب والمنيل والمماليك والروضة، ويعرفها السائحون الذين يترددون على الحى.. إذا غسلها فى الشارع أغرقه بالماء واستمر يدلك صاجها الكالح عدة ساعات حتى تتوقف الحركة وتصل المياه أحيانا إلى مداخل البيوت، وإذا حدث أن اغتاظ منه أحد السكان ونبهه إلى سوء ما يفعل يقول على الفور ببروده النادر: أنا حر.. هذا شارع الحكومة وليس شارعك، وإذا زاد اللجاج يقول: مادام كلامى لا يعجبك أبلغ الشرطة.

كان إذا خطر على بالى تذكرت المثل الذى يقول: إذا افتكرت الديب حضر له القضيب، لذلك قررت منذ نحو عشر سنين ألاّ أحييه ولا أرد تحيته حتى لو فى المسجد.. وكنت أمنى نفسى كل يوم بالصبر على الجار السو يا يرحل يا تيجى له داهية تاخده.

قال وهو يحاول أن يكون رقيقا فازداد سخافة:

- اليوم يوم الحشر ولازم أعرف لماذا تقف منى هذا الموقف؟

لم أهتم.... واصل محاولته الثقيلة مثله:

إذا كنت أخطأت فى حقك أرجو أن تقبل اعتذارى!!

أمسك برأسى محاولا تقبيلها، أبعدتها عنه فهجم عليها بذراعيه وأوسعها تقبيلا.. شعرت كأنه يبصق عليها.. تخلصت منه أخيرا وأنا أقول: هل هذا وقته؟..

اندفع يقول: وقته وعز وقته.. بصراحة شعرت أنى لا أستطيع الاستغناء عنك.. الحى كله لا يستطيع.. أنت بيننا البركة.. عفا الله عما سلف، ولو أنى لا أعرف ما الذى سلف.

قلت من بين أسناني : مادمت لا تعرف فلا تعتذر !

قال : أرجو أن توضح لي خطئ !

قلت بقرف : في وقت آخر . .

حاول من جديد بإلحاحه اللزج فصرخت فيه بحدة لفتت الأنظار .

أخيرا سكت ، وأخيرا تغلب المتظاهرون على الجنود واكتسحوهم وتحركوا . . عزمت على المضى خلفهم .

سألني الجار التعس : هل تود أن أعيدك إلى البيت ؟

– شكرا

أدرت العجلات فى اتجاه المظاهرة . قطارها الآن يمضى بشقة . . عدت أتذكر جارى الذى تمنيت أن يكون قد ذهب وغار ، حتى لا يصاحبنى فى رحلتى إلى ميدان التحرير . . لو سمحت له بمصاحبتى سأكون كمن يتبع البوم لن يجنى إلا الخراب . . . هذا الجار الذى أجَر دكانا فى بيته لسمكرى سيارات . الدكان مساحته لا تتسع إلا للكرسى المتحرك الذى أجلس عليه . تمكن السمكرى خلال أيام من جذب زبائن كثيرين فوقفت خمس سيارات مهشمة أمام الدكان وأمامنا وسدت الشارع وأخذ يطرقها بدون توقف ليصلح جسمها الصاج . . كان معظمها متخرجا من حوادث قاتلة . . . كان أغلب الدق موجها إلى نافوخى ونافذا فيه . وقد خرجت عدة مرات وزعقت وشتمت ، ولا حياة لمن تنادى إذ لم يرد علىّ أحد . . أحس الآن أن الكرسى يجرى . بطرف عينى لمحت كفين تقبضان على

المسندين اللذين أضع عليهما ساعدىّ . . كان هو الملعون . سألت نفسى : أين كان منذ عشر سنوات وقد جعل حياتنا جحيما . . . سمعت رجلا يتحدث إلى آخر :

- طلعت للدنيا وجدته يحكمنا ، وتعلمت وتخرجت وتزوجت وهو يحكمنا . . الآن عندى أولاد ثلاثة وهو ما يزال يحكمنا . . بلغت الأربعين وهو مازال إلى اليوم يحكمنا .

رد عليه صديقه : خلاص . . الشعب قرر أنه ما يحكمش

ضحك الاثنان وهما يقولان معا : ما يحكمش

هتفت المظاهرة الضخمة التى تضم عشرات الآلاف فى نفس واحد يبلغ عنان السماء : ما يحكمش . . ما يحكمش ! !

تسلل من جديد شعورى بالألم بسبب الإعاقة . أريد أن أقف فى هذه الأيام فقط لأشارك فى المظاهرات وأقودها ثم أموت . . لن تكتمل رسالتى على الأرض إلا إذا كان لى دور فى هذا العمل الوطنى المقدس .

عاد الجنود بعزم جديد يهجمون من كل الاتجاهات . يضربون بالعصى والرصاص المطاطى . . كانت النية معقودة فيما يبدو على ألا نصل إلى التحرير . . المتظاهرون يدفعونهم بصعوبة . . القنابل الدخانية ظهرت من جديد . . المنطقة بعد كوبرى الجلاء وفندق شيراتون تخلو من المساكن والمحلات . متحف مختار والحديقة إلى اليمين والأوبرا إلى اليسار . . وضع الكثيرون المناديل والكوفيات على أنوفهم . . لم يكن مع أحد بقية من زجاجات الخل أو قطرات

العيون.. لكنهم بإصرار شديد يتقدمون وجارى بكل إخلاص يدفعنى، ولأنه يهوى الثرثرة ولا يملك القدرة على الصمت فقد أخذ يغنى عندما يتوقف الهتاف. غنى بلادى بلادى.. ويا نسمة الحرية».. 

عندئذ فوجئنا بهجوم شرس من الخلف قام به عدد كبير من الجنود.. تعرضنا نحن الملازمين للصفوف الخلفية للضرب المبرح.. خامرنى خاطر يجمع بين الدعابة والخبث فقد تصورت أن صوت جارى ألحق الأذى بآذان الضباط فقرروا إسكاته.أوشكت عصا غليظة أن تنزل على وجهى تلقاها جارى بساعده ووجه لكمة إلى صدر الجندى الذى تألم وتداعى لكن زميله سند ظهره حتى اعتدل.. وضعت كفى فوق يد جارى ممتنا.. انحنى وقبّل رأسى.. زاد الهجوم علينا. العساكر الأغبياء والعميان لا يرون حالتى ولا يشفقون على عجزى.. تعرضت للضرب مجددا تلقاها جارى عنى جميعا إلا واحدة سقطت على كتفى، وأحسست كم هى شديدة إلى درجة إحساسى بأنها نفذت إلى جنبى كله.. غبت عن الوعى لحظات.. استدارت مؤخرة صفوف المتظاهرين نحونا وتولت دفع الجنود عنا فقد كنا جميعا تقريبا من كبار السن والعجزة. اضطر بعض الشباب أن يختطفوا العصى من الجنود ويضربونهم بها وبعض الشباب قطع بعض أغصان الشجر ونزل بها على الجنود المدرعين، لمجرد بيان قوتهم وقدرتهم على الصد، ولم يقصدوا إيذاء الجنود الذين يستحقون الإيذاء وكثيرا ما قال لى البعض: هذا عملهم، كل ما

هنالك أنهم يؤدونه بإخلاص نادر وزائد عن الحد . . .استطاعت المظاهرة بعد توقف لنحو نصف ساعة أن تواصل تقدمها حتى مدخل كوبرى قصر النيل حيث يقف فى انتظارها سعد زغلول مشيرا لها كى تتجه إلى ميدان التحرير . . تقدمت المظاهرة وهى تهتف : كرامة وحرية . . عدالة وتنمية .

تذكرت أغانى حرب ٧٣ التى طالما استمعنا إليها بعد عبورنا قناة السويس باسم الله . . الله أكبر باسم الله ، وآدان ع المدنة باسم الله باسم الله . . بإيدين ولادنا باسم الله . . وأغنية فدائى فدائى . . فدائى أهدى العروبة دمائى . . وأموت أعيش ما يهمنيش وكفاية أشوف علم العروبة باقى . . فدائى . .فدائى» .

انحنى علىّ جارى وقال : أنا سعيد أننا معا فى هذا اليوم المهم

لم أرد . . انحنى وقبل رأسى وكتفى . . شعرت أن جارى بالغ فى استرضائى ، قلت له : يكفى . . يا كامل . . شكرا

قال بصوت رقيق فعلا : يا عم باز . . صدقنى أنا سعيد . . أنا عمرى ما شاركت فى مظاهرة واليوم تمنيت أن أشارك مع مجموعة من المنطقة يعرف بعضنا بعضا ولا أذهب وحدى . . فرحت عندما وجدتك أمامى وأنا أقف حائرا . .

قلت له : يا أخ كامل لماذا لا تريد أن تفهم أنى أستطيع السير وحدى؟ . . انطلق مع الناس وشارك ولا تربط نفسك بى ؟

عاد إلى جارى صوته عالى النبرات قائلا فى إصرار : والله لو لم تبقنى معك لأحملك أنت والكرسى فوق رأسى . . ما رأيك ؟

يستطيع بسهولة أن ينفذ وعده أو وعيده فهو فى حجم البغل الاسترالى. .صحته ممتازة رغم بلوغه الخمسين تقريبا.. ظللت مندهشا من حالته.. الكيمياء تغيرت جدا.

انشغلت عنه بالهتاف: كرامة وحرية.. عدالة وتنمية

خرج صوتى مثل صوت عنزة، فهتف كامل ورائى بصوت بصوت عبر النيل حتى وصل ميدان التحرير.. هتف الجميع وراءه وتكرر الهتاف.

فجأة هطلت علينا المياه الكبريتية التى ضختها سيارات الشرطة الضخمة.. كميات غزيرة وثقيلة من المياه. لم يحتمل الكثيرون شدة سقوطها على الرؤوس.. تفرقت الجموع وتضررت النسوة وصرخن. كانت هناك أسر كاملة. وقع الصغار على الأرض ووقعت بعض الأمهات وفككت أزرار البلوزات وتطايرت ذيول الجيبات وابتلت الفساتين والبنطلونات والجواكت والأحذية. طارت القبعات وكذلك الكوفيات والنظارات الطبية والشمسية وسقطت فى النيل وبعضها سقط على الإسفلت وداسته الأقدام المضطربة. كنا فى المؤخرة فلم تطالنا المياه وإن تراجعت الصفوف ووقع علينا بعض الشباب.

انفتح نهر المتظاهرين وانقسم إلى ضفتين. انطلق من فى كل ضفة يجرون باتجاه الميدان ويهجمون فى طريقهم على الشرطة المستعدة لاستقبالهم بالرصاص الحى. فوجئ الشباب بالرصاص يثقب صدورهم ولمحوا فى آخر اللحظات أرواحهم وهى توشك على المغادرة.لما رأيت الممر تحمست وقلت لكامل سنعبر من هذا الممر

بسرعة اندفع ينفذ ما طلبته وانطلق فى الممر ، لكنى رأيت بعينى عبر الممر المتسع بين ضفتي البشر والغارق بالمياه مدرعتين تندفعان باتجاه المتظاهرين وتدهسهم ، ويهرب منها النساء والأطفال والعواجيز أمثالى إذا استطاعوا .حاول بعض الشباب أن يقفزوا فوق المدرعتين . . لكن المدرعة كانت مغلقة من كل الأجناب حتى السقف ، والجنود بداخلها يتابعون ما يجرى عبر كوى صغيرة ، يخرجون منها مواسير البنادق ويطلقون الرصاص الحي على من لا تدهسه المدرعة . .خلف المدرعات كان الجنود يطاردون من يحاول الهرب . . مشهد بشع لم أسمع به ولا رأيته من قبل لا فى الحقيقة ولا فى الأفلام . كان كامل يدفعنى بسرعة قبل أن تدهمنا المدرعة ، لكنها انحرفت بسرعة نحونا . حاول كامل أن يراوغها ويبعدنى عنها فانحرف يسارا بسرعة خاطفة ، لكن المدرعة انحرفت بسرعة شديدة وغريبة لتقتحمنى وترفعنى عاليا وتلقينى بعيدا حتى أن الكرسى بفضل الله ورحمته تعلق فى عمود النور فوق سور الكوبرى فى آخر لحظة قبل السقوط فى النيل . . كنت قد غبت عن الوعى ولم أعرف بما جرى إلا بعد ذلك فقد سقط كامل هو الآخر وحاولت المدرعة أن تدهسه فلم تلحق إلا يده وكان باقى جسمه على الرصيف . . كان الشباب قد اختطفوا الهراوات من بعض الجنود وهاجموا المدرعة التى كانت تتأهب للصعود فوق الرصيف ودهس كامل فتراجعت المدرعة وأخذت تدور حول نفسها كى تحاول بمنتهى الإخلاص والتفانى قتلهم .

توجه عدد من الشباب نحوى وأنزلونى وفحصوا جسدى سريعا فوجدوا بعض الإصابات ووجهى ينزف دما من جبهتى التى ارتطمت فى حديد العمود كما قالوا وتداخل الكرسى.. أما كامل فلم يستطع تحريك يده مطلقا وإن لم يحس بذلك تماما وقتها. كنت قد أيقنت أنى فى الدار الآخرة وأننا بالفعل يوم الحشر.. حاول كامل بعد أن أفاق أن يطمئن علىّ وأن يلمس كل جزء بجسدى ويسألنى عن إحساسى.. طمأنته بأن الضربة يبدو أنها أصابت الكرسى فقط. العجل معوج والحديد التوى. كان أحد الشباب قد مسح الدم من وجهى ولف منديلا حول رأسى.

قلت لكامل: علينا أن نعود فكفى ما جرى

لزمنا الرصيف والتصقنا بالسور حتى ينتهى كامل من محاولة ضبط الكرسى.. بعد ساعة من الجهد الكبير المتواصل، وبسبب عدم وجود أية آلة أو حديدة فشل رغم عناده فى إصلاح الكرسى.. حملنى وجر الكرسى نحو عشرة أمتار إلى أن تقدم شاب فحمل الكرسى مائة متر عائدين باتجاه الأوبرا.. كان طريق العودة إلى الجيزة فارغا فالزحام كله فى الطريق المتجه إلى التحرير.. استدعى كامل تاكسيا. حملنى وأدخلنى فيه ورفع الشاب الكرسى فوضعه فوق السيارة. لما وصلنا شارع الصناديلى حاول أن يدفع فرفضت. وقلت للسائق إذا أخذت منه فلن أغادر السيارة.. اقتنع السائق وخاف فى الوقت نفسه.. حمل كامل الكرسى ووضعه أمام دكان السمكرى ثم عاد وحملنى إلى البيت.. انطلقت من زوجتى

صرخة عفوية عالية ولطمت خديها . قلت لها : أسمعينا زغرودة من قلبك . . فرت الدموع من عينيها ، أقسمت لها أننى أقول الصدق . . وضعنى كامل على السرير . . وقال لها : فعلا يا حاجة لازم تزغردى ، شكرته شكرا جزيلا .

قال : صافى يالبن يا عم باز؟

قلت : صافى يا لبن

خرج وهو يقول : احنا ولاد النهاردة

كنت منشرح الصدر . .مقبلا على الحياة . . شاركت فى المظاهرة ، وكل من شارك فيها حتى ببيع الأعلام والبليلة كان بطلا . . إذن أنا من الأبطال والأحرار . . لقد عشت لحظات لم أعشها من قبل أبدا . . ومادامت الثورة قامت ورأيت شبابها بعينى يفرض كلمته وأنه قادر على تحقيق المعجزات . فلا بأس إذن إذا الموت جاء . . ولن أنتظر يوم القيامة لأعفو عن كامل الذى طالما أزعجنى . . ربنا يسامحه ويهديه .

سألت عن الأولاد . .قالت الحاجة إنهم لم يعودوا بعد . . سألت عن الصغيرة أمل ،قالت : لقد لحقت بهم

تنهدت وطلبت من أم العيال أن تتركنى قليلا ، فأنا أشعر بتعب شديد ، وإن كنت منشرح الصدر سعيدا بما جرى .

من مجموعة " ميلاد فى التحرير"

# نزهة فى حدائق الألم

أخبرنى زميلى فى المستشفى د. سمير أن كثيرين قرروا عمل مظاهرة كبيرة في ميدان التحرير يوم ٢٥ يناير وأضاف أنه سوف يشارك فيها رغم أنه يوم ميلاد زوجته التى تتهمه دائما بتعمد نسيانه.. قلت له بعد أن حسبت الأيام:

- سيوافق يوم الثلاثاء.. عندى نبطشية

دخلت عيادة المسالك وانشغلت طول اليوم بالمرضى.. الناس أحوالها صعبة. يعانون من مشاكل كثيرة فى المسالك. تعطل أى جهاز فى هذه المجموعة يعكر صفو الحياة ويوشك أن يقضى على الآمال فى العيش بسعادة.. المثانة. البروستاتا. الكلى. الحالب... كلها مناطق حساسة وتسبب آلاما لا تحتمل. احتباس البول وحده كارثة. صحيح الطب تقدم. .استطاع السيطرة على أغلب الأمراض،

لكن هذه الأمراض تظل محنا ثقيلة الوطأة. وتزيد الطين بلة السلوكيات العشوائية والجهل.

- آلو. نعم أنا. أهلا يا حاج سراج.. طبعا لازم تغسل لأنها تعانى من قصور كلوى مزمن، نعم.. للأسف. الغسيل غير كاف، ولن تعيش العمر كله بالغسيل، لكن هذا كله سيتوقف إذا تم زرع كلية سليمة جدا لها. ليتكم تجدون متبرعا من الأقارب.. لا بأس .غريب غريب.. المهم أن يكون صالحا ومناسبا جدا.. فحوصات وتحاليل كثيرة جدا للطرفين.. تحاليل للدم والصدر والقلب والشرايين، وأيضا للجهاز البولى والتنفسى والهضمى، ومعرفة نسبة الدهون وقياس مستوى السكر فى الدم.. النتيجة فى الغالب ستكون طيبة جدا.

قضت ليلة الأمس تعانى ألما شديدا يعتصر كليتها اليسرى. تتلوى وهي تدس ذراعيها في جنبها. تتلوى وهي تحاول أن تدفن رأسها فى بطنها. تغمض عينيها وتنضغط ملامح وجهها. تقبض بأسنانها على وسادتها. تلتقط أنفاسها بصعوبة، ثم لا تجد مفرا من الصراخ:

- آآآآآه

تسرع إليها أمها ومن خلفها الأب ثم أخوها. تصرخ الفتاة من جديد

- الحقينى يا أمى؟

تأخذها الأم فى أحضانها.. تسيل دموعها. تتخلص الابنة من

صدر أمها وتتلوى بعنف وتجذب شعرها وتلطم خديها ثم تتكور حتى تلتف ركبتيها حول صدغيها وينام على الساقين شعرها الطويل.. يُحضر الأب الدواء المسكن.. يقول أخوها:

- أعطيتها هذا الدواء منذ ساعة

يقول الأب في شبه استسلام:

- ما العمل يا بني؟.. قال الطبيب لا علاج غيره مع الغسيل إلى أن يحين موعد العملية!!

تصرخ الابنة:

- يا رب رحمتك

تنهار الأم وتنشج. يعلو صوت دموعها.. يمزق الأسى روحها حزنا على زهرة شباب ابنتها. بل حزنان.. حزن لمرضها، وحزن لتأخر زواجها.

غير مقتنعة بما يقوله زوجها من أنها ما زالت صغيرة.. كيف تكون صغيرة وقد تجاوزت الثامنة والعشرين؟.

- لقد تزوجت وأنا في التاسعة عشرة وأختى في السابعة عشرة، وصفية ابنة الجيران في الخامسة عشرة.

- كيف تفكرين في زواجها وهي بهذه الحالة؟!

- لو سعيت وسألت واتصلت كانت العملية تمت!!

انقبض وجه زوجها الحاج سراج وهو يقول بأسى شديد:

- هل تتصورين أني أغفل عن الموضوع لحظة؟. نشرت أخبارا في الصحف وقلت لكل من قابلته. بل قلت لزبائن المحل. آخرهم أمس.

جاء رجل ليشترى ذهبا لزوجته فرحا بأول مولود بعد عشر سنوات زواج، وقلت لسيدة جاءت بعده ترهن ذهبا:

- انشر أخبارا جديدة.. اتصل بمستشفيات ومراكز الكلى، ربما يذهب إليهم من يود التبرع!!

هز سراج رأسه مؤكدا على أن المسألة تحتاج إلى عمل كثير!!

- عندك حق.

سحب الرجل المكلوم المصحف ومضى فى ركن يقرأ. رغما عنه سالت دموعه على الآيات التى لم يعد يراها. مسح دموعه وواصل القراءة. لكنه انصرف لحظات ليفكر في فلسفة الألم.. اعترف فى البداية حتى لا تزل قدمه بأن الألم قدر وأنه لا يعترض على قدر، واعترف أيضا بأن الألم أحيانا يغير الإنسان ويدفعه إلى ما فيه صالحه، لكن أليس من سبيل غير الألم؟، وإذا كان لابد منه فهل يصل مع ابنته وهى فى عينه طفلة إلى هذا الحد؟.. الألم لا ينهش لحمها وحدها. استغفر الله وعاود القراءة بشكل متواصل وبصورة أكثر صفاء، سرعان ما تخللت جوانحه وهدّأت من حال الغرفة المحمومة.

دخلتُ على الحاج سراج فى محله بالصاغة. أقدم رجلا وأؤخر أخرى. عرفته بنفسى. الموقف شديد الحساسية لكننى اضطررت إليه وناقشته عشرات المرات بل وسألت صديقى الدكتور محسن عما يمكن أن أتعرض له فى حالة تنازلى عن كلية، أكد لى هو وغيره أن كلية واحدة تكفى جدا لتمارس الرياضة حتى سن السبعين. فرح

الأب وترك المحل لأخيه واصطحبني إلى الطبيب الذى يتابع حالة ابنته.. ذهبنا إلى مستشفى متخصص فى الدقى. سحبوا من دمى الكثير لعمل تحليلات عديدة. النتيجة كانت مناسبة جدا ومطمئنة. أصر الحاج سراج أن أتناول الغداء معه لأتعرف على أسرته.

منذ أن تخرجت من المعهد العالى للحاسب الآلى تقدمت لنحو عشرين شركة ومكتب تتكدس وراءها الأموال والمشروعات.. بعضها اختبرونى وأثنوا على قدراتى ووعدونى بأنهم سيرسلون إلىّ فى القريب.. مهمة البحث عن عمل مسألة غير مريحة ولا تخلو من المهانة. ليست كل الطرق مسدودة إلا فى وجوه من يقيمون فى القاع وقد ورثوا عن الآباء العدم.. لست وحدى بالطبع. مثلى الملايين يجوبون الشوارع كل يوم فلا يجدون غير الآذان التى لا تسمع والأبواب المغلقة وهزات الرؤوس الرافضة، وتنتهى الرحلة فى العادة بالسقوط على أرصفة المقاهى ولقاء الأصدقاء لتبادل قصص الرحلات الفاشلة، ونادرا ما يجد أحدنا عملا تافها فى كافيتريا أو مندوبا للمبيعات، وأفضلنا يمكنه قبول العمل سائقا على ميكروباص أو تاكسى أو حمّالا فى فندق على أمل الحصول على " تبس ". تأثرت بشدة من جملة صديق:

- أنا مستعد لتنظيف دورات المياه لمدة اثنتى عشرة ساعة مقابل عشرين جنيها.

استقر فى فكرى أن أفضل مشروع يتناسب مع ظروفى هو أن أفتح " سايبر"، به عشرة أجهزة كمبيوتر وبرامج للكتابة والألعاب

وخطوط نت. لى صديق لديه محل سايبر به ثمانية أجهزة. أقضى الكثير من الوقت معه. أستمتع بهوايتى فى الجرافيك والفوتوشوب والألعاب والمحادثة على الفيس بوك والتويتر. .عندما أضيق أدخل على النت وأبحث عن أنواع الخنافس وأحيانا أبحث عن الجحيم والدود وهاييتى والهند وجزر ما يوركا، وقد أضرب كلمة " الله " فتنهمر علىّ جبال المعلومات.. أقرأ إلى أن أحس بالجوع، أقول لشادى:

- إذا كنت ستأكل اعمل حسابى

فيقول

- لن آكل!

أشعر بالغيظ طبعا، فأقول له:

- أنت إنسان سخيف

يضحك ويقول:

- - حاضر يا سيدى

أسأله:

- لم تسألنى ماذا تحب أن تأكل؟

تبلغ سمعى " شخرة " كبيرة

ينهض ليشترى ساندوتشات الفول وأحيانا الشورمة حسب مزاج أهله، شادى يريدنى موجودا فى المحل دائما حتى أقوم بعمليات الصيانة ولا يدفع لى شيئا.

أعجبتنى ريهام ابنة الحاج سراج.. فتاة رقيقة وجميلة، وإن

كانت نحيلة ربما بسبب المرض وقلة الغذاء الذى هو بالتأكيد بأوامر طبية . فرحت عندما علمت أن اسمى طارق . . أخوها له الاسم ذاته . .أهلها طيبون وقد أحبونى وارتحت إليهم . فرحوا أيضا لما علموا أن اسمى طارق .

حكيت لأمى وأختى ما حدث . . صرختا معا ولطمت أمى خديها . . ندمت أنى صارحتهما رغم أنه كان يجب أن أفعل فالمسألة معرضة للفشل وقد تفقدنى أمى على أساس أنى ولدها الوحيد وأننى ربما أكون ممن يعول عليهم ، بعد أن ارتكب أبى جرما كبيرا فى حقنا فقد مات منذ سنوات دون مقدمات . وإن كان رحيله فى الحقيقة لم يضرنا كثيرا فقد كان عمله كأمين لصومعة غلال ليس فيها غلال لا يدر عليه مليما غير مرتبه التافه . ولم تكن لديه أية فرصة حتى للسرقة أو الرشوة .

فى الميدان كان الثوار بحر من اللهب والحب والعنفوان . . يهتفون " مصر . . مصر . الشعب يريد إسقاط النظام . . يا حرية فينك فينك . . الطوارئ بينا وبينك " الشباب يتحرك فى كل مكان . . ما أروع أن يكون كل هذا العدد وأضعافه فى كل مدن مصر ينحازون لأهلها وقضاياهم ! ! . . الشباب الحقيقى هو الذى نسى نفسه من أجل تحرير ناس الوطن المسحوقين . . مشهد مثير للانتباه ودليل رائع على الانتماء والحب والرغبة فى التضحية . . لم يأت أحد هنا لنفسه أملا فى أن يحصل على نصيبه من التورتة . جاء من أجل الحبيبة . . أما ضباط وجنود الشرطة فى زيهم الأسود والمتسلحين بالخوزات

والدروع والعصى فقد مضوا بكل عنف يطاردونهم.. يلقون على التجمعات قنابل مسيلة للدموع ومسببة للاختناق.. قنابل أمريكية من أحدث الأنواع.. كان مشهدا بشعا لا تقدم عليه الشياطين عندما رأيت بعينى وأنا في حالة ذهول عربات الشرطة الضخمة تطلق خراطيم المياه على المصلين.. المسلمون كانوا يصلون ويحيط بهم المسيحيون وقوفا يحمونهم ويدفعون عنهم الشرطة .. حدث العكس يوم الأحد عندما شرع المسيحيون في صلاة القداس .. ضحكت عندما وقعت عينى على لافتة يحملها شاب تقول: ارحل. مراتى بتولد والجنين مش عايز يشوفك "" وحمل آخر لافتة مكتوب عليها " ارحل.. إيدى وجعتنى " وثالث: لو كان عفريت كان انصرف"

التقيت بالدكتور ناجى. دعانى للانضمام إلى مجموعة الأطباء المتطوعين لعلاج المصابين. أقاموا خيمة من الملاءات والمفارش فى البداية، وبادروا من اليوم الأول بتزويدها بكل ما يلزم للإسعافات الأولية. كان لابد من ذلك فليس ثمة فرصة للنقل إلى المستشفيات إلا الإصابات الخطيرة التى تحتاج إلى عمليات وأشعات وتحاليل ونقل دم، وبعضها إلى جبائر ومسامير.. فوجئت بعشرات المصابين بالاختناقات ، والمضروبين بالعصى.. رأيت بعينى أربعة جنود ينهالون على شاب ضربا بكل ما يتمتعون به من قوة.. حطموا تقريبا كل ضلوعه، وعندما حاولت التدخل دفعونى بقوة فوقعت ووقعت النظارة و جُرح جانبى الأيسر كله.. قبل أن أشعر بالغضب

الشديد على رجال الشرطة وكنت أتمنى أن أقتلهم فى تلك اللحظة تساءلت عن سر إخلاص الجندى المصرى فى الدفاع عن رؤسائه بروحه وهو يعلم أنهم ظلمة.. ويندفع فى تكسير عظام كل من يعترض حُكامه حتى لو كان المعترضون طلاب حقوق وأبرياء.

تعاونا فى علاج الإصابات الخفيفة وحملنا الخطير نسبيا بسيارات زملائنا إلى مستشفى قصر العينى والمنيرة، وأبدى أساتذتنا استعدادهم لاستقبال بعض الحالات فى عياداتهم القريبة بباب اللوق وشارع طلعت حرب ونوبار وشامبليون.. اقشعر بدنى من هول ما رأيت.. عدد كبير مصاب بالرصاص الحى فى العين.. التصويب جيد جدا ومحدد.. لماذا فى العين؟.. هناك حالة غريبة من العدوانية التى لم يمارسها الجيش المصرى فى أى حرب ضد الأعداء.. لا يمكن اعتبار من يقترف هذه الآثام البشعة من المصريين أو من البشر.. بالليل كنت أفكر فى حالة رجال الشرطة الذين يقدسون أوامر رؤسائهم ويقتلون المتظاهرين بلا رحمة، وقد انتهيت إلى أن ما يحدث شىء طبيعى ومتناغم.. هم يدافعون عن نظام خرب وفاسد.. نظام مستمتع بحرمان الشعب من طعم الحياة وأسبابها، فما الفارق؟.. الجنود على دين ملوكهم وليس الناس البسطاء.. هناك رغبة حميمة فى إذلال هذا الشعب وشل قواه وتعطيل كفاءته وتحويله إلى شعب من المعوقين. ولكنى أعود فأسأل:

- هل الضابط المصرى يقبل أن يقتل شابا أو يصيبه فى عينه حتى لو كان أجره عن كل شاب مليون جنيه؟

عشرات الشهداء كل يوم نحملهم إلى المشرحة لتحفظ جثثهم حتى يأتى أهاليهم للتعرف عليهم وهم فى حالة انهيار تنفطر لها القلوب.. فى المشرحة شباب فى عز الصبا والأمل والحلم.. رأيت بعينى قوات الشرطة وهى تحاصر مئات الشباب على كوبرى قصر النيل بعد أن ضخت المياه الكثيفة عليهم ثم جاءت بسرعة عربتا شرطة مدرعة واندفعت تهرس جموع الشباب ومن فر منهم جهة اليمين اتجهت إليه بتعمد دنىء وآثم، وإذا فر إلى اليسار أسرعت إليه ومرت على لحمه وفجرت رأسه .. مستحيل . مستحيل.

ارحل. ارحل. ارحل. ارحل.ارحل.. يا من لا تبكى لنقطة دم تسيل من أصبع برىء. .ارحل. ارحل يا من تملك القدرة على النوم رغم علمك أن ملايين الأسر لا تجد عشاءها.. ارحل.ارحل.ارحل.

بالليل شردت لحظات، وتخيلت الغابات فى أفريقيا، حيث ينقدم الصيادون بمنتهى الهدوء والرحمة ليصطادوا غزالا أو فيلا أو حتى تمساحا، أقصى ما يفعلونه أن يصوبوا نحوه رصاصة مخدرة مثل قلم الرصاص حتى يهدأ ويستكين ولا يهاجمهم.

لكن رغم بطش البوليس وغباء بعض رجاله فقد استطاع الشعب أن يفرض كلمته ويوريهم العين الحمرا.. والجيش بانت عينه الحمرا.. والآن عين مين الحمرا فى التحرير؟؟!!

كل ما فى ريهام يبعث على السعادة، حتى أننى إذا جلست إليها لا أود تركها. وجه جميل وبسمة حنون. نظرات حالمة وملامح منمنمة.. صوت رقيق و رغبة من القلب للاستماع لا للكلام.

بسيطة جدا فى ملابسها المتوائمة جدا مع شخصيتها . شعرها منسدل على كتفيها وليست له قَصّة بعينها . شعر بنى ناعم ينساب كنهر وديع هابط من قمة جبل . الأغانى التى تحب الاستماع إليها مثلها رقيقة . تهوى الاستماع إلى أغانى فيروز ونجاة من الراديو أو الكاسيت ، ولا تميل لمشاهدة الأغانى فى التليفزيون . تحب الجلوس فى الشرفة جدا وتحب الليل الساكن ، ومثلى تحب الشتاء . . كيف لمثل هذه الوداعة أن تصاب بمرض شرس يجعلها تتألم إلى درجة التمزق والصراخ . . كانت قد عادت منذ ساعات من مركز غسيل الكلى .

سألتنى عن دراستى وعن أهلى . أسفت عندما علمت أنى بلا عمل .وبأننى أعيش مع أمى . . أختى المتزوجة تزورنا ومعها عيالها الأربعة أو العفاريت الأربعة .

تم فحصى فى مركز الكلى وحصلوا على عينات من دمى ودم ريهام وفحصوها طويلا فى مختبر المناعة .

اختطفت عدة ساعات من الميدان لحضور مرحلة أخذ العينات من ريهام وطارق . . فى المعمل أخذ الأطباء عينات من التركيبة البروتينية الموجودة على سطح الخلايا الدموية البيضاء(HLA) . . فى أحيان كثيرة تختلف هذه التركيبة بين الطرفين وبالتالى يتعذر التجانس بين الكلية الجديدة والجسم المستقبل .

أجرينا اختبارا قياسيا لتحديد الأجسام المضادة (CTA) عند ريهام بوصفها الشخص الذى سيستقبل الكلية فى حالة زرع الكلية

الجديدة.. أخذنا عينات من دم طارق فى مواعيد محددة لمعرفة كمية ونوعية الأجسام المضادة، كما تمت عملية اختبارات التلازم والتبادل cross match.. واختبار لمصل الدم من طارق وريهام serum قال الدكتور وليم أن كل الذى نخشاه هو أن تظهر الأجسام المضادة عند ريهام وتبدأ عملها فى مقاومة كلية طارق، هذا هو أكثر شىء يهدد العملية بالكامل.

قبل العملية التى تحدد لها يوم ١١ فبراير قمت بزيارة الحاج سراج فى الصاغة وقلت:

- أنا مستعد لإجراء العملية لكنى غير مستعد للحصول على مقابل!!

اصفر وجه الرجل وسألنى عن السر.. قلت:

- راجعت نفسى ولم أجدنى مرتاحا لمسألة المقابل، خاصة بعد أن تعرفت على حضرتك وعلى ريهام والسيدة المحترمة والدتها وأخيها طارق وأقاربكم.

قال الرجل وقد خلت أن قلبه يضطرب فى صدره وربما فكر أننى أود التراجع:

- هذا يا بنى اتفاق
- أقسم بالله العظيم أنى سأنفذه
- الاتفاق مكون من بندين.. عملية ومقابل!!
- لن أكون مرتاحا
- هذا حقك

- لا.. لن آخذ مليما ! !

- أرجوك يا بني تفهمني

- أنا بدأت أشعر منذ تعرفت على ريهام كأن الكلية التي خلقها الله لي ملكها وحقها.

- يا بني ما تقوله كلام أفلام.. لا يستطيع مثلك أن ينجح في حياته.. الدنيا تسير بنظام وتعاقد وعُرف.

قمت وتأهبت للخروج

أسرع الرجل إليّ وقد فرت الدموع من عينيه. أخذني في أحضانه وسالت دموعه وهو يقول :

- أرجوك يا بني

سالت دموعي فجأة

ظللنا دقائق هكذا.. كنت في هذه اللحظات أعانق أبي الذي عاد بعد رحيله.. فجأة انحنى الرجل على يدي وهو يقول :

- ارحم ضعفي أرجوك. أنا سوف أشكر ربي طالما أنا حي لأنه كافأني بك ! !

سالت دموعنا بشكل زائد، إلى أن قال :

- ما رأيك أن يكون المبلغ خمسين ألفا بدلا من ثلاثين

لم أشعر بنفسي وأنا أنتزع يدي من يده وأتجه ناحية الباب، وقبل أن ألمس المقبض كان فوقي.. أمسكني من كتفي وصب نظراته الأبوية في عيني وقال :

- كن واضحا وصريحا.. هناك ما تخفيه عني وأنا لا أحب السير

فى طريق مجهول، تأملته لحظات لأحسب وأتوقع تأثير ما سوف أقوله.. ثم عزمت على المصارحة فهى حقه. والحقيقة سوف نواجهها بسرعة بالذات فى حالتنا.. قلت وكأنى ألقى بقنبلة:

- أنا يا عمى أحببت ابنتك.. ابنتك ملاك

ضمنى إليه وضغط على جسدى، ثم قال:

- ما دمت تحبها فلا تتخل عنها

- لن أتخلى أبدا ولو احتاجت إلى قلبى وكبدى ورئتى

- لكنك قلت إنك محتاج للفلوس

- ربنا لا يتخلى عن عباده

- هل تحب أن تشتغل معى فى المحل؟

- شكرا.. أنا لا أفهم فى الذهب !!

جلست مع ريهام وسألتها إذا كانت مرتبطة أم لا.. قالت:

- من ناحيتى لا. لكن ابن عمى يريدنى وأبوه طلبنى

- وماذا كان ردكم؟

- قال أبى لأخيه لا أستطيع أن أفكر فى أى شىء الآن إلا صحة ابنتى !!

تجرأت وقلت لها:

- وأنا أريدك

ابتسمت وتهلل وجهها.. سألتها عن رأيها.. هبت فجأة وغابت لحظة ثم عادت ومعها أمها.. سألتنى:

- هل حقا ما قالته ريهام؟

- أتمنى

- دعنى أسأل الحاج عن رأيه.

تركت ميدان التحرير لأبقى مع كبار الأطباء فى مركز الكلى حيث أجريت عملية زرع الكلى . العملية تمت بنجاح والحمد لله تحت إشراف أستاذى الدكتور وليم عصر يوم الجمعة ١١ فبراير.. كلفنى الأستاذ أنا و الدكتور زاهر بمتابعة الحالة يوميا، وإبلاغه بتقرير مفصل عنها مع الالتزام بمنتهى الدقة بتناول طارق وريهام للأدوية خاصة ريهام. أسرعت إلى ميدان التحرير فقد كان الثوار يجرون هناك عملية أهم.

بعد يومين خرج طارق، وبعد أسبوع خرجت ريهام.. بقيت أتابع حالتها التى تحسنت كثيرا وانتهت بحمد الله عصور الألم ..لم تظهر أية حالة من حالات رفض الكلية.. بدا واضحا مدى التوائم بين جسدها والكلية الجديدة، وانتقل هذا التوائم من الجسد إلى الروح فقد أحس الأهل أنهما روح واحدة فى جسدين .. لما تحدد موعد للزفاف الذى تم يوم الجمعة الأخيرة من مارس.. قال طارق:

- لكى يصبح زواجنا شرعى وقانونى يا حبيبة القلب ولكى لا يشهد على العقد اثنان فقط بل عشرات الألوف فعلينا إقامة الحفل فى التحرير.

صرخت فرحا وابتهاجا لأول مرة منذ عرفها طارق

- فكرة رائعة يا طارق

غابت عنه العروس رغم وجودها إلى جواره.. حلقت لتتخيل

المشهد والجموع والتليفزيون والصحافة والعالم وهى تصب كل اهتمامها على العروسين.. قامت ولأول مرة تجاسرت على عناق طارق وتقبيله بمنتهى الرغبة العميقة والحب والإعجاب والنشوة.

تم طبع الدعوات التى حددت مكان الحفل الذى أقيم بحضور الضباط وجنود من الجيش ومشاركة عدة دبابات ومئات من الأعلام المرفوعة والمرفرفة مع نسمات الليل التحريرى البديع.

حضرت حفلة الزفاف التى شملت الناس فيها حالة فرح حقيقية بدت على الوجوه، وعلى الشباب من الفتيات والفتيان الذين لم يتوقفوا عن الرقص والغناء.. حفلة أسطورية مثيرة ومفتوحة ، وبدا المشهد كأنه فى نظرى على الأقل احتفال بالثورة وليس فقط بزواج حبيبين.

كان الحاج سراج قد وافق على طلب طارق بألا يمنحه مالا ، وبدلا من المال منحه محلا فى عمارته وكلف شركة بملء المحل بأجهزة الكومبيوتر.

تحسنت صحة ريهام جدا وانتهت متابعاتنا لأن الأجسام المضادة لم تظهر مطلقا وإن ظهرت فى محل "السايبر" ، فقد هاجمته مجموعة من البلطجية وسرقت كل الأجهزة وحطمت الباب الخارجى والمكتب والكراسى ومزّقت الكابلات.

شعر طارق بالرعب من الحادث الذى هدد مستقبله الذى لم يبدأ بعد.. خففت عنه ريهام القلق والهم، وقالت:

– اللى يجيى فى الريش بقشيش

بدا الغضب شديدا على طارق وهو يقول:

- أجهزة كومبيوتر بثلاثين ألف جنيه بقشيش ؟!

- ولو مليون.. عوّد نفسك ألا تغضب يا حبيبى

اشترى الحاج سراج أجهزة جديدة، وطلب من احدى الورش تركيب بوابة لا تحطمها الدبابات، وهكذا بدأ العمل من جديد بصورة واعدة.

شعرت بسعادة غامرة بالحالة التى كان عليها طارق وريهام.. حاولت أن أفكر فيهما وحدهما بعيدا عن الثورة فلم أستطع.. كل ما توقفت عنده هو الحب.. كنت متيقنا من أن ما حدث فى كل أرجاء مصر على يد الشباب وكافة أفراد الشعب كان منطلقه الحب.. ومع ذلك لم أستطع أن أكتم رغبتى فى أن يبعث الله إلىّ الهدية الكبرى.. تلك الشابة الجميلة التى يجمعنى بها الحب والانسجام، ويا ليتها تكونُ مثلى دكتورة مسالك !!

من مجموعة " ميلاد فى التحرير"

## أرَدته جَبانا

نعم.. أردته أن يكون جبانا، فقد شغلتني كثيرا شخصية الجبان. وفكرت أن يكون بطل قصتي القادمة.. وعندما حاولت رسم شخصيته ووضعه في موقف يكشف بوضوح حالة الجبان وبرود أعصابه خاصة في اللحظات الحرجة فوجئت به راضيا ويبدى تعاونا سبب لي القلق والإشفاق عليه من المهمة الصعبة.

أحد أقربائي كان البداية وهو السبب، فقد لفت نظرى إلى الجبان أو البارد جدا الذى لا يبدو معنيا بأى حدث أو خبر وليست لديه أى قدرة على المبادرة بالفعل. ظل قريبى يطاردنى ويرافقنى كثيرا وأنا أحاول التخلص منه حتى استسلمت له وقررت أن أجعله بطلا لقصتي، وكان على أن أحاول بعمق وتركيز تفهم طباعه، إلى أن أصبح لطفى بطل القصة ملهما في الجبن وعبقريا في بروده إلى

درجة مقززة. ربما لم يكن قريبي هو السبب لأني منذ الطفولة أكره هذا النوع من الرجال.

إن تأليف القصة ليس عسيرا إلى حد مقلق، وتشكيل المبررات الكافية والملائمة لإثارة الأحداث ودفعها نحو مزيد من الصدام الضاغط على أصحابها ومرتكبيها ، وكذلك الذين حرصوا على أن يكونوا بمنأى عنها، ليس أيضا من العسر بمكان على صاحب التجربة والموهبة، أما الذى يتعين الاحتشاد له بالتأمل الطويل وتعدد التجارب ودقة الخلق وإدارة الأفعال بحذق فهو رسم الشخصيات وتحديد ملامحها، وإعانتها على الخوض فى نهر الحدث الموحل أو المتدفق تلقائيا نحو التعقيد المثير والمتشابك.

أردت لطفي أن يكون جبانا جبنا يبلغ حد الخيانة من فرط سلوكه السلبى المستفز للسلحفاة. زرعته وسط بيئة تتسم بالحيوية والتوتر، وبعض أبنائها يتسم بالاندفاع، بل والهياج لأسباب تافهة، وكان على لطفي أن يكون على العكس منهم.. خاملا لا يبدى أى انفعال حتى عندما مات أبوه، وعندما أخته ضربها زوجها العربيد وطردها على نحو قاس بملابس البيت وفى عز الليل ودون مبررات قوية تستوجب هذا البطش..

سأكتفي هنا بموقف واحد.. عندما رسب ولده الكبير فى الثانوية العامة لثالث مرة.. كان رده الوحيد الذى لم يصل إلى الآذان إلا بعد أيام من المصيبة التى قضت على دموع زوجته، و أدت إلى تخشب خديها من كثرة اللطم وإقدام الولد نفسه على الانتحار.

قال لطفي: لقد عملنا ما يتوجب عمله، وهذا نصيبه وقدره

عندئذ صرخت فيه زوجته وقد أوشكت أن تقبض على زمارة رقبته:

- أى قدر يا رجل يا مجنون؟..ابنك ضاع مستقبله

في تلك اللحظة كان يخيط كعب جوربه، وببرود لا يتمتع به غيره، حاول أن يعيد إدخال طرف الخيط فى ثقب الإبرة الذى تعود أن يهرب منه. إنه جوربه الأثير الذى لا يميل لارتداء غيره مهما تغيرت ألوان البنطلونات.

كان حتميا أن تنتهى القصة - من وجهة نظرى طبعا - بخروج زوجته ضاربة بكل قوتها وبكامل غضبها باب الشقة، ساحبة فى يديها ثلاثة أولاد، ورابع على صدرها، تاركة الكبار الثلاثة. الحق إنهم لم يتحمسوا لترك البيت، وهى تعلم ذلك، بل تعلم أيضا إنهم لا يميلون لجدتهم التى لا شك ستمضى إليها الأم فورا.

أكلنى قلبى على الرجل، سواء بالتفكير فى كل سلوكياته الماضية أو بتحميل نفسى الذنب فيما يعانيه من غم وما يترصده من مشكلات..لابد أننى السبب فيما يتعرض له من إهانات وما يعصف به من حيرة.

حاولت مساعدته على اتخاذ خطوة مناسبة بعد التصرف المتطرف من زوجته.. من المؤكد أنها لم تفكر فى العواقب التى لن تقل عن تهديد العش وربما هدمه. عدت أصب شديد اللوم علىّ لأنى زوجت اثنين متنافرين تماما، وجمعت بين الذئب واليمامة فى علاقة

يفترض إنها أبدية . . راجعت تاريخه وأعدت تقييم تصرفاته إزاء كل موقف . دققت في رصد العلاقة بين طباعه وتصرفاته ، وما كنت لأنسى الاعتراف بأني لست خالق الشخصيات الأول ، وإنما أقوم بنقل جانب كبير منها من بيوت أصدقائي ومعارفي ، بل ومن بيتي ذاته أحيانا . مضطر هذه المرة للاعتراف أن ثمة تشابها بين زوجة لطفي وزوجتي السابقة .

هو في مكانة ابني ويجب أن أدعمه وأظل في ظهره دون تدخل سافر . هو لم يخلق نفسه وله عليّ حقوق المخلوق على الخالق .لا . يكفي القول : له حقوق السلعة على منتجها . . قررت أن أعينه على الخروج من الخط الثابت الممتد من ميلاده حتى خروج زوجته . . لابد من التدخل لإجراء تغيير واضح وربما مفاجئ ولو لمرة واحدة في طباع وشخصية لطفي بحيث أتمكن من كسر تلك النمطية المرصية التي تصم شخصيات معظمها ذات طريق واحد . . الكريم كريم في كل الأحوال والظروف . . الشجاع دائما كذلك لا يجبن أبدا . الجبان يظل جبانا حتى لو حملته أسراب النمل إلى جحورها ، والبخيل يحمي نفسه طوال القصة ضد أي لحظة ضعف تجبره على التفكير في التصدق بمليم واحد حتى لو كان مليمه الهزيل سوف يساهم في إنقاذ آلاف المحتاجين .

اهتديت إلى فكرة جيدة ، بل أظنها رائعة ترضي جميع الأطراف . . أوحيت إليه أن يتخذ لأول مرة موقفا يبدو في ظاهره إيجابيا . . يجب أن يهمل زوجته ، وما دامت قد خرجت بنفسها

فإلى حيث ألقت. سلوك يبدو بالطبع متسقا مع طباعه الساكنة التى لا تميل للفعل، وما أدعوه إليه ليس فعلا بشكل صريح ومعلن.. يمكن تبرير أسبابه، فقد يكون النسيان. الانشغال. المرض. وإن كان فى نظرى المتواضع يعد فعلا بالقياس لهذه الشريحة المملة من الرجال، وبالذات لى شخصيا - المؤلف - لأنى أميل دائما للمواقف الإيجابية وأحيانا ما تكون حادة.

أسعدنى جدا أنه ظل يرتق جوربه، ثم نهض يبحث عن مقص الأظافر وجلس على كرسيه المفضل قريبا من النافذة يقص الزائد من هذه الأظافر، ويتأمل كل أصبع فى أناة بعد القص، وقد بدا لى أكثر هدوءا من ذى قبل، كما بدا لى كأنه غدا شخصا مخليا من الأعصاب والقلب، بل ربما خلت عروقه من الدماء.. انشرح صدرى لأن الشخصية التى رسمتها تمتلك هذه القدرة على الإبداع وتعمل من نفسها وتبتكر وتعمق ملامحها التى ارتضيتها لها.

بلغت سعادتى مداها عندما لمحته يتجه ببطء شديد نحو غرفة النوم وكان السرير غير مرتب فلم يحفل. صعد إليه وسحب غطاء خفيفا وتغطى به إلى ما فوق رأسه... فسّرت هذا السلوك بأنه إمعان فى التجاهل، وسرعان ما انتهى إلىّ غطيطه.. ها هو يقول فيما أعتقد: فلتذهبى إلى الجحيم أيتها المارقة.

تنهدت إذ اطمأن قلبى على بطل قصتى وعلى نهايتها، وتأهبت لوضع نقطة النهاية، لكننى عزمت على أن أتمهل قليلا للمراجعة الأخيرة وليكن ذلك فى المساء، وربما بعد يومين أو ثلاثة، مؤكدا أنها

انتهت ولم تعد لى بها علاقة، اللهم الاطمئنان إلى سلامة اللغة وضبط علامات الترقيم واختيار العنوان .

بعد نحو ساعة، وبينما أنا أجلس فى شرفتى المطلة على شقته أرقب الشارع وحركة الناس، إذ به يخرج متمهلا و ملتصقا بجدران البيوت متخذا جهة اليمين التى تفضى فى نهاية الشارع إلى ميدان باب الشعرية والمسجد الكبير وحديقة الأطفال. سقطت نظراتى على الساعة. تأكدت أن صلاة العصر فات أوانها . تتبعته بعينى، فإذا به يتجاوز الميدان ويتجه يمينا إلى حيث لا أعلم . أسرعت فى أعقابه . لحقت به يدخل دكان حميه راشد الإسكافى .

مضى يشكو له زوجته فيما الرجل يستمع وفمه محشو بالمسامير دون أن يدعوه للجلوس . . يسحب المسمار بطرفى سبابته والإبهام. يدسه فى جلد الحذاء ويدقه بمطرقته الحديدية . المسمار تلو المسمار. لما فرغ من المسامير وفرغ لطفى من شكواه الميتة التى ألقاها وهو واقف بصوت هامس متعثر ودون ترتيب كأنه يقرأ من ورقة ممزقة، غمره الإسكافى بما لم يكن يتوقع .

انطلق الإسكافى يطرق بلسانه رأس الرجل وكرامته، وبالمطرقة يدق نعل الحذاء المتشقق . . اللسان والمطرقة يضربان فى تناغم استشعرت معه أن الطرق على رأسى أنا . اضطررت لطرد الجميع من بؤرة اهتمامى . لطفى هو السبب. كيف سمح لنفسه أن يقف هذا الموقف المزرى ويضع نفسه مكان النعل؟. لا أرى داعيا لمواصلة الحدب عليه أو رعاية مصالحه أو دعمه بمشورتى. شخصية فاشلة غير جديرة بأى مساعدة .

ابتعدت وأنا أفكر فى بطلى من جديد . حاول أن يرضينى ويبين لى قدرته على الفعل ، وأن بإمكانه وقت يشاء تصحيح الأوضاع التى أسهمت أنا فى تعقيدها . . تسمرت أمام محل عصير القصب وعينى على لطفى . لمحته يقف كالتلميذ البليد منكس الرأس متهدل الذراعين مقوس الظهر . يتسول بيديه ونظراته عطف الإسكافى . تجرعت كوبا كبيرا من العصير وكل حواسى مع لطفى . فكرت أن أعود فأجره جرا إلى بيته لأحفظ ماء وجهه ، وألحق بقايا كرامته التى دق حموه آخر مسمار فى نعشها . . ها هو كالخرقة يمسح بقدميه وعجزه أرض الشوارع والحارات ، وأنا وراءه أشفق عليه ، إلى أن نفذ بصعوبة فى حارة كئيبة وضيقة تشبه نفقا فى منجم قديم . الجدران حائلة الطلاء . . توقف أمام دار منخفضة لها باب أجرب . . سقفها فى مستوى رأسى .

نقر على الباب نقرات لا تسمع كأنه يقصد ذلك ، كان الباب مواربا . لم تبلغه أدنى حركة . عاد ينقر نقرات حيية لا يكاد الباب نفسه يحسها . هل هجر الدار المظلمة ساكنوها . . دفع الباب برقة . أنّ الباب أنينا عاليا كأنها طريقته الوحيدة ليعلم أهل الدار بالقادم . توقف عن دفعه وانتظر . طلعت عليه سيدة سمراء اللون .دنوت منه فقد أدركت أنه فى خطر . . سمينة وذات شعر أشعث لم يمشط من سنين ، وقد ابيض أكثره . لها ثديان كل منهما فى حجم بطنها هاجمنى أنفها الكبير وفمها الواسع وحبات أسنانها المسحوبة من فك بغل . مد يده ليسلم ، فلم تسلم . بقى كذلك لبضع لحظات حتى

تصورت أن شريط الفيلم توقف. أخيرا استرد يده. قالت له ويداها فوق ردفيها المتكورين والبارزين خصيصا لحمل يديها بعد أن انتهى عنقود الخلفة:

- ماذا تريد يا عرّة الرجال؟

كنت قد نسيتها. إنها حماته. قفز إلى رأسي التشابه بين وجهها الذى لا علاقة له بوجوه النساء ووجه الإسكافى والمسامير والمطرقة والنعال.

لم يرد بطلي الهمام. ملت عليه وقلت:

- أيعجبك ما قالته؟..

رد عليّ ببروده التاريخي:

- لا تكن متسرعا.. الحموات كلهن كذلك... فلا تتأثر!!

لولا أننى المؤلف أو هكذا تصورت فى لحظة من اللحظات لألقيت عليه أية قلة أو منفضة أو حذاء قديما أو ضربته بشبشب على أم رأسه. كتمت غيظي وثقبت وجهه بنظرات نارية وهو يقف إلى جوار زير الماء القابع في الركن كنزر بطاطا ضخم. كان ثمة تشابه بين الزير وحماته الفخارية التى تنشع وقاحة وهى لا تزال تنهال عليه بسبابها المقذع كأنها تفرغ فوق رأسه ورأسي صفيحة ممتلئة بأسوأ الفضلات.

قلت له: هيا.. عد إلى البيت ولا تنس أن تخبط هذا الباب بشدة حتى لو تحطم كما فعلت زوجتك ببابك. هيا انتقم لكرامتك.

استدار نحوى، وحدّجنى بنظرات ازدرائية مسحتنى من أعلى إلى أسفل، ثم انفجر فى وجهى قائلا:

- يا فؤاد يا قنديل . .أنت ديكتاتور . اطلع من نافوخي أرجوك . بالعربى أنت تفسد عليَّ حياتى . أنا قادر على حل مشاكلى بطريقتى . تعجبنى طريقتى التى تعتبرها جبنا . لست خروفا تجد متعتك في أن تجرجره وراءك كلما فرغت من أعمالك التافهة . لن أسمح لك بالتدخل فى حياتى أكثر من هذا .

خامرتنى مشاعر متناقضة ، ودار رأسى لحظات . كنت سعيدا بثورته ومستاء من نعتى بالديكتاتورية ، ومن اعتقاده أنى أتسلى به وأتحكم فى حياته ، وأتدخل فى شئونه . هذا غير صحيح بالمرة . أو ربما كان صحيحا إلى حد ما . رغم ذلك فلم أستطع منع نفسى من المواجهة .

- الآن أصبحت رجلا صاحب كلمة ، وأنا أول من تثور عليه ، فلماذا لا تثور على من تهينك ؟ !

تنهد بعمق ثم قال بحدة أقل :

- أعترف بأن البداية كانت لك . لكن اسمع . عليك أن تلزم حدك . سوف أتصرف على النحو الذى يروق لى .

- إذن فأنت تود تغيير قدرك والثورة عليه

ضحك باستهزاء ، وقال باستهزاء أيضا :

- وهل أنت قدرى أو صانع قدرى ؟ ! !

تسلل الهدوء إلى روحى رغم الإهانة ، وتدريجيا تراجع غضبى . قررت أن أفهم حالته بالضبط وألزم حدى فعلا كما طلب . بدا مقنعا فى غضبه . تحرك قلبى لأجله . . قلت بمودة وصدق :

- أخرج إذن ودعهم يتحسرون على الفرصة التى وفرتها لهم بقدومك.

قال بثقة: أخرج أنت ودعنى لشأنى.. أنا مهيأ تماما لظروفى.. لا تقلق.

لم أخرج ولكنى لم أعد أتفوه بكلمة. مضيت أرقب رد فعله. ترك السيدة البغيضة تطلق صيحاتها ولعناتها. تتقلب ملامح وجهها مع صوتها. يقفز الأنف فى اتجاه الجبهة وقد يلتصق فجأة بالأذن، كأنه يتحرك فوق "رولمان بلى". الفم أكثر الأعضاء مرونة فى الفتح والانغلاق. العينان متسعتان يطلقان الشرر. البطن تهتز بشكل مرعب وكأنها توشك على الانفجار وإغراق المكان بما تحتويه.. الثديان الضخمان المتهدلان يشاركان فى المهزلة.. الأيدى الكثيرة تواصل التعبير بحماس عن كل ما يصرح به الفم. أجهزة كثيرة تعمل وتهدد وتصدر أصواتا عجيبة. تتعاون جميعها فى منظومة قذرة ومزعجة لتصل إلى هدفها النهائى وهو أن هذا الرجل كارثة كبرى لحقت بابنتهم، وعار يلطخ ثياب وسمعة تلك العائلة الملكية المهيبة.

ظل صامتا وظللت أرقبه.. بدا كأنه يستمتع بالهجوم المتوالى الذى كانت السيدة العجيبة تبدع فيه وتبتكر.

كيف استطعت أن أشكل هذا الرجل على هذا النحو، أم أنه كما قال لا ينتمى إلىّ على الأقل فى مرحلته الأخيرة.

جاء الأولاد واحدا بعد الآخر. سلموا عليه. دخلوا بين فخذيه..

هبط إليهم وعانقهم . . ظل محتفظا بهم فى صدره لحظات . أعطى كل منهم جنيها . . انطلقوا لشراء الحلوى . . قعد الرضيع يصرخ محتجا بسبب عجزه عن الخروج وبسبب نذالة الآخرين .

بقى لطفى حتى العشاء . . صامتا منكس الرأس ، وأحيانا يبتسم ابتسامة شاحبة وخجول . ابتسامة أقرب إلى الندم منها إلى الفرح . لم ينطق بحرف حتى بعد أن رجع متأخرا حموه ، وهمهم ببعض الكلمات مستدرجا لطفى للتعليق . نام على الأرض . طلب منه حموه بغير حماس أن يدخل مع زوجته . فرح بالعرض وتسلل من باب الغرفة وسرعان ما عاد مطرودا . . عاد إلى الأرض مواسيا نفسه بأننا منها وإليها . .غطته حماته . وهى التى أيقظته فى الصباح وألحت عليه كى يتناول فطوره معهم قبل أن يتوكل على الله إلى عمله . كان كالبالونة التى فقدت كل ما فيها من هواء وقدرة على القفز والحركة والطيران .

ذهب إلى عمله كاتبا فى مرفق المطافئ . .لست أنا الذى اختار له مرفق المطافئ ليعمل فيه . . ربما هو الذى اختار ، لكنه فى كل الأحوال مكان مناسب لمن يريد إطفاء الحرائق . . عاد من عمله مع آذان الظهر . جلس ساكنا . . حدثته حماته بحدة معقولة . كان يهز رأسه فى شبه موافقة . أكل معهم ما تيسر . . فى المساء نام على الأرض وكنت أنام إلى جانبه على الشوك حتى فكرت أن أخنقه أو أجُرّه جرّا وأسحله على الطريق . أمَرّغه فى حفر الشارع وأخبطه بالأرصفة . . فكرت أن أخلص منه القصة . .أبحث له عن مصيبة حتى يغادرها . .

بدوت عاجزا وكأن الأمر خرج من يدى.

فى الصباح تناول فطورا خفيفا مقليا فى الصمت.. ذهب إلى المطافئ وكما ذهب جاء.. قضى مع الأسرة غالب يوم الجمعة.. بعد الغداء قالت حماته لابنتها:

- خذى زوجك وعودى إلى بيتك

فى صمت سحب زوجته وأولاده وعاد إلى بيته..بطرف عينه لحنى فى الشرفة كعادتى بعد العصر.. أخرج لسانه لى وهو يفتح الباب ويدفع أمامه أولاده، ثم استدار وصفقه في وجهى بشدة.. انفجر الغضب فى صدرى بسبب هذه الشخصية الغريبة التى قررت فجأة التنكر لما بذلته من أجلها. تنهدت وقررت إغلاق صفحتها محاولا تعزية نفسى بأن هناك الكثيرين ممن يتنكرون. كانت تجربة والسلام وأهم ما استفدته منها أنى لن أكررها.

من مجموعة " حدثنى عن البنات"

# حدثنى عن البنات

أرجأت سؤالي، ومضيت أتأمله وهو يسوى شاربه الفضى المتهدل بيمناه، بينما كانت يسراه تدفس كنكة القهوة فى جمر الموقد. حيث كانت النار التى شاخت تمضغ القوالح بتلذذ.. قلت لجدى الذى أوشك على التسعين، وأنا أستشعر دفء الجلوس إليه:

- حدثنى عن البنات يا جدى.

توقعت أن تتغير فجأة ملامحه. لكن ابتسامة رقيقة أخذت تتسلل فى هدوء شديد وثقة إلي وجهه المتغضن، ولم يمنع الجلد المكرمش نور البسمة أن يشرق على وجهه كما أشرق فى أبهاء روحى.. أدركت أن البسمة الوديعة والتمهل يعنيان استدراج الذكريات والغوص بعيدا فى الماضى.. قال وهو يتنهد:

- رياحين خلقن لنا

- هذا كلام الشعراء

قلب البن والسكر بملعقة عمرها يفوق عمره. سبق أن حدثتني عنها جدتي. قال:

- زين للناس حب الشهوات من النساء

- هذا كلام القرآن. .أريد كلامك؟

تذكرت جدتي التي رحلت منذ سنوات.. رحلت عام سقوطه من فوق الفرسة. .أذكر أنه تشاءم جدا يوم سقط، وقال:

- هذه إشارة

هل تراه الآن يرى وجهها الطيب البشوش وملامحها المنمنمة الباسمة؟.. هل لها نصيب في هذه الذكريات؟.. انشغل بتجميع هشيم القوالح الحمراء الشفيفة حول كنكة القهوة التي تتأهب للغليان.. تنهد وعادت يمناه إلي شاربه كأن ثمة علاقة بين سيرة البنات وشاربه.. لعلها علاقة البنات والشباب، ولعلها.. ولعلها.. قال:

- الله يرحمها

- جدتي؟

- ليس في البلد غيرها

رفع رأسه وأطلق نظراته عبر النافذة التي رسمت مربعا من الضوء الأبيض وكشفت سور النخيل البعيد .. زر عينيه كمن يحاول التحديق.. كان أحد فروع التوتة يتراقص من معاكسات نسيم حيي.. كنا معا منذ ساعة بمجلس تحت التوتة العامرة بالثمر. .أسقطت الريح الوديعة فوقنا ثلاث حبات من شجرة

التوت. التقط جدى الحبتين اللتين سقطتا على الحرام الصوف المخطط وقدمهما إلى.. قبل أن أطبق عليهما أسنانى كانا قد ذابا وتقطرت حلاوتهما فى حلقى..

مد جدى كفه المعروقة بالفنجان الأبيض المخطط رأسيا بالأزرق وتتقوس للخارج حافته لتيسر للشفاه استقبال القهوة. بلغت روحى أنفاس الزمان الذى يخرج من كل خلايا جدى ومن كل ما حوله حتى الرياح والتوتة والحرام والتنهيدة وطعم البن وحلاوة التوت والذكريات المعتقة. .الزمن يتنفس بيقين ومحبة، ويمسح على أجسادنا وأرواحنا بحنان.ثمة ظلال كثيرة تتمدد بأعماقى تبسطها أمامى عيون جدى الرمادية.

قلت له:

- أريد أن أتزوج

قال ومازال فى شروده:

- على بركة الله

لم أجد داعيا كى أحكى له عن البنت التى أميل إليها.. سألته:

- كيف أختار؟

تمهل قليلا، ثم قال بعد أن عاد إلىّ بكامل وعيه:

- لا تجهد نفسك فى الاختيار.. سيحدث كل شىء وحده

- وما دورى؟

- وزع الله المزايا والعيوب على العباد بالعدل!!

لحظة صمت، ثم استطرد:

- ولا أحد كامل

- يا جدى

- فقط تجنب منبت السوء

بدا عاطفيا على غير ما عرفته.. أحس أنه تغير.. بدأ التغيير منذ سنوات، ربما منذ سقوطه عن الفرسة التى أحبها جدا وأحبته..كانت تعرف مواعيد خروجه من الدار فتتأهب ، وتنقر الأرض إذا تأخر. وكم انتظرت لمسة يديه على ظهرها ووضع جبهته على جبهتها.

صب لى من جديد فى الفنجان البيشة أبيض القلب.. صعدت الرائحة المميزة إلى أنفى، ومضت حثيثا إلى رأسى. ظل شاردا يحدق فى جمر النار وعلى وجهه آثار ابتسامة.. نبض الذكريات يدغدغ روحه المحلقة.. أنا معه مغمور بالدفء والطمأنينة.. تشملنا عذوبة الصمت الجميل.

بعد قليل جاء أبى. قبل يدى جدى، وجلس إلى جواره. عاد يقبل يده ورأسه. مد له جدى فنجان القهوة.. قال أبى وهو يكاد يحتضن الفنجان ويتهلل له وجهه:

- من يد ما نعدمها

أبى يرفض زواجى من فتاتى.. برقت فى رأسى فكرة الاستعانة بجدى.. أخذت وقتا طويلا حتى أقرر مصارحة جدى..أخيرا استجمعت بأسى وعزيمتى:

- يا جدى..أبى يرفض زواجى ممن أحب

رمقني أبي مندهشا . . سألني بعينيه المفتوحتين إلى أقصاهما عن سبب إشراك جدى في الموضوع . . قال جدى وهو يعيد الكنكة إلى النار :

– زوجه يا محمود ممن يحب ؟

حار أبي وتنهد ، ثم قال :

– يا أبي . .إن

– زوجه يا ولد ؟

ظهرت حيرة أبي في أصابعه المتوترة ، ثم نطق على مضض :

– حاضر يا أبي

لقد طرقت على الحديد وهو ساخن . . كانت فكرة جيدة إذ استعنت بالجد الرائع الذى لا ترد له كلمة . .انحنيت بسرعة على يد جدى فقبلتها . . عاد يعبث بشاربه المتهدل ، بينما أبي يتململ .

سأل جدى بعد أن أعاد الطاقية الوبر إلى الوراء ، وحرث بأظفاره الطرية رأسه الجرداء :

– لماذا لا توافق يا محمود ؟

حاول أبي أن يرتشف القهوة ، لكن الفنجان اهتز وتساقطت على صدره بعض القطرات . . وجه إلىّ نظرات عاتبة . ربما أكثر من ذلك . . تعجله جدى ليرد . . ألقى أبي عبارته القاسية بسرعة :

– والدها شرّيب ومنفلت اللسان

خفق قلبي . .أدركت على الفور أني سأفقد الموافقة الملكية . . لقد وجه أبي لي ضربة قاصمة . . تحول جدى إلى النافذة كأنه يسأل

السماء الصافية عما يجرى.. حطت عتمة مفاجئة على ملامحه.. بدا بالضبط كما كان منذ قليل عندما كنا على المصطبة أمام الدار، وظهر الحمار القادم من الحارة المجاورة وقد أزعج جدى أن الشاب الراكب لم ينزل عندما مر بنا واكتفى بالسلام. كاد يبصق.

نكست رأسي.. سحب ورقة " بفرة "من علبته النحاسية الصدئة ذات القلب الأصفر البراق.. حشى الورقة بالتبغ وحاول أبى أن يشعلها له فرفض.. كان أبي قد أشعل الموقف..

أخذ جدى نفسا وعاد ينظر عبر النافذة.. لمح غصنا من الشجرة يهتز تحت جسدى عصفورين يختطفان القبلات ويطيران فى دورات قصيرة نزقة.. تطلع إليّ وقد بدا أنه لا يجد الكلام، وأنه شاخ قليلا عما كان.. أحسست بغصة في حلقي، وبأني على وشك البكاء فقد أكون قد تسببت فى أساه.. أحب جدى جدا ويحبنى. ترقرق الدمع فى عينى.. عندئذ قال جدى:

– زوجه يا محمود ممن يحب؟

نط قلبى بين ضلوعى ورقص. أعادنى إلى الحياة بينما اختطف أبى فنجان القهوة فتجرعه دفعة واحدة كأنها الدواء المر، وانحنى على يد جدى فقبلها، كان وجهه محتقنا. يود لو انشقت الأرض وابتلعته. أشفقت عليه.. حاولت الكلام، لكنه أسرع بالخروج.

شملت القاعة سكينة قلقة وحائرة.. تسببت فى مشكلة حتى تلبد الجو.. حاولت إقناع نفسى بأن أمورا كثيرة تمضى على هواها

مهما حرصنا على التحكم فيها.. ما انتهينا إليه لم نبدأه.. أم ترانا عندما اختلطت الخيوط نتملص من المسئولية.

أخرجنا من الصمت المختنق صهيل حصان.. تسلل الابتسام من جديد إلى وجه جدى،ما أجمله عندما يبتسم !.. تحول إلى النافذة .. كان الصهيل لفرسته التى أصر عمى على امتلاكها بعد أن أسقطت جدى قبل عشر سنوات فى حادث أليم لا ينساه أحد من أهل البلد.

يومها كان متعجلا لحضور جنازة أحد أصدقائه القدامى فى القرية المجاورة.

مضى يدعوها للإسراع، وكانت كعادتها تستجيب دون أن ينبهها لذلك، إلى أن التقت فرسها الأثير.. توقفت تبادله النظرات الحالمة وتتلقى منه الوعود الناعمة.. لكزها جدى عدة مرات لتنطلق.. أحس بجسدها يتوتر، لكنه كان مشغولا بالجنازة التى أوشكت على الخروج.. لكزها عدة لكزات أشد مما تعودت منه.. .فجأة ارتفعت بمقدمتيها عاليا وألقته على الأرض.

تحطمت عظام الرجل ذى الثمانين.. احتوته غيبوبة. بعدها لم يستطع النهوض وقد شمله الذهول .. لم يقدر على تصور الحالة التى أصابت فرسته بالجنون.. كان على الأرض يأكله الألم ولا يكاد يحس بعظامه.. بالكاد تنفس وبالكاد فتح عينى لحظة ربع فتحة.. .لمحها تضرب ساقها الخلفية اليسرى فى اتجاه صديقها الفرس، بما يعنى:

- امش الآن .. لقد تسببت فى مشكلة

انحنت على جدى تلعقه وتعتذر، وما لبثت وهى تراه على هذا الوضع المتردى أن فاضت عيناها بدمعتين ساخنتين سقطتا على وجهه.. حاولت أن تساعده على النهوض فما استطاعت.. جاء المارة فأعانوه على الركوب.. توجهت فى هدوء وحرص إلى الطريق نحو القرية المجاورة، لكنه أشار لها أن تعود.. أدرك جدى أن قدميه لن تحمله لعدة أيام إذا أراد الله له عمرا.. سمع همس القدر.. غلبه التشاؤم وما لبثت جدتى أن رحلت.

طلب عمى أن يأخذ الفرسة الحزينة وقد تعذرعليه أن يلمسها لعدة أشهر، فصبر عليها حتى لانت. كان عمى برهام قد حاول منع عمى من الاستحواذ على الفرسة حتى لا يحزن جدى.. قال عمى لكل أفراد العائلة :

- أنا غير طامع فى الفرسة ولكنى خشيت أن نفقدها لأن الوالد عزم على أن يبيعها لمعاطى صاحب الفرس الذى تحبه فرستنا ، فذهبت إلى معاطى وطلبت منه أن يبيعنا فرسه، فرفض.. ولم يكن من سبيل إلا إبعادها عن جدى إشفاقا عليه وعليها.

لقد أصبحت مع الأيام على يقين بأن الفرسة غيرت من طباع جدى كما فعلت به جدتى، لابد أنهما سربا إلى روحه قدرا كبيرا من الرقة بعد أن كان خشنا وعصبيا وجبارا فى بعض الأحيان.. لا أظنه العمر ما فعل هذا.

من مجموعة " حدثنى عن البنات"

# ثمر الجنة

سمعت عنه كثيرا فرأيت أن أزوره. أدور فيه وأغوص.. أتعرف وأسمع.. أسأل وأجمع.. أحلل كما تعودت أن أفعل مع كثير من التجمعات.. أثق أن المكان جاذب.. يقولون رواده في اليوم الواحد يتجاوز عددهم نصف المليون من طبقات وشرائح مختلفة، خاصة المتوسطة والدنيا.. معظمهم من الموظفين والعمال والعاطلين.

بالإضافة إلى جاذبية المكان فهو لا شك عينة مثالية لقاع المجتمع.. لن يضطرك البحث لتعقبها في الأحياء المتباعدة، فضلا عن تعذر السيطرة على الشخصيات المنطلقة في الشوارع والحارات لجمع البيانات، ولزوجة الفضوليين وأنوفهم المزعجة.

هناك تلتقي وتعيش فئات تعرفها، وفئات غريبة عليك، لكنها جميعا دون شك لديها بعض الأسرار.. ولديها ثقافة القيعان

والسراديب .. المختبئ والمتوارى .. بعض ملامح الهاربين من ثأر أو سجن أو من فضيحة، أو من أعمال غير كريمة، فقد بلغنى أن بعض البائعات كن ممن عملن سنوات كبنات ليل ثم تخلصن من أعباء هذه المهنة الرديئة التي لا يعيبها العار فقط والازدراء الاجتماعى، ولكن السخط الذى يأكل روح الممارسات أنفسهن بسبب اضطرارهن لاختيار هذا المصدر البشع للارتزاق، والسخط لأنها مهنة لا تخلو من الخطر فكم ماتت زميلات لهن ذبحاً أو خنقاً أو ضرباً.

هذه النماذج البشرية إذن أساس عملى، ولعلها تكون مادة جيدة تفيدنى فى إعداد بحث رائع مطلوب أن أعده للترقى فى الجامعة، وأنا على ثقة من استثارة د. كيدمان الذى سيقفز فرحاً وحماسة، وسوف يطلب المزيد .. ليته يسعى لاختيارى أستاذا فى أى جامعة أمريكية حتى لو تحت الأرض كما فعل مع د. يوسف النجار.

تغلغل فى أعماقى إحساس يقينى بأن هذه الزيارة سيكون لها جدواها بشكل يمكن أن يؤثر على مستقبلى العلمى .. المهم الرصد المتأنى، وأهم منه الصبر فقد يضيق بى من أسألهم، يريد الزبائن أن يشتروا، ويريد الباعة أن يبيعوا لا أن يشاركوا فى الحوار.

لبست "كاجوال" واضطررت أن أتخلى عن البايب فسوف يثير التعليقات والشبهات .. وضعت على رأسى قبعة رياضية نبيتى توحى بالبساطة والشبابية من ناحية وتغطى دائرة الصلع التى تتسع يوماً بعد يوم .. خطفت نظارة الشمس وانطلقت وحدى دون أن أسرب خبراً حتى لأعز الأصدقاء.

استقبلتني الأصوات العالية والصخب.. ميكروفونات وصراخ.. معالم المشهد متراكمة ومتلاحمة.. بشراً وبضاعة.. المعروض فوق العربات والترابيزات مكدس ومهمل.. أكثره غير جيد.. بعض السلع صنعها أصحابها فيما يبدو تحت سلالم البيوت وفوق الأسطح أو في الجراجات والخرائب.

فجأة صرخت سيدة كانت تسير إلى جواري بين أكداس اللحم المتلاطم:

– يا لهوى.. سرقوا البُكْ.

عندما رمتني بنظرة لافحة استولى الرعب علي.. تسللت بعيدا وتركتها تصرخ والبعض يسألها بلا جدوى ويواسيها، لكن الكل يمضي، فالطريق لا يحتمل الازدحام.. الباعة هم الذين صاحوا في الناس كي يتحركوا.. لا يريدون وقف الحال.

– حصل خير يا جماعة.. ربنا يعوض عليكي يا ست.. وسَّع طريق.

مال بائع على آخر وقال:

– عارفينها الحركات دي.

انسحبت بعيدا عن المنطقة الملتبسة وإن انطبعت صورتها في رأسي فربما يكون لها مكان في الدراسة.

لمحت سيدات فوق الأسطح المجاورة يتناولن فطورهن ويثرثرن ويضحكن حتى تستلقي بعضهن.. كن يستمتعن بالشمس الشتائية وأشعتها اللذيذة التي تدغدغ الأجساد.. بعضهن يفرطن البسلة ويلتهمن اليوسفي ويشربن الشاي في وقت واحد.

يعلن أحد الباعة بأعلى صوت أن بضائعه مهربة من الجمارك ويرد عليه آخر بأن الملابس الفخمة التى يعرضها بملاليم مسروقة من شركة كذا ومحلات كذا ومول كذا . . وكلها أماكن مشهورة . . تستولى الدهشة علىّ بسبب هذه التصريحات الجريئة التى لا جزاء لها إلا السجن .

سيدة فى الركن تعد على وأبور جاز الشاى والحلبة الحصى والقرفة لمن يريد ، بينما رضيعها فى حجرها يقبض على ثديها الأبيض الممتلئ وقد خرج خصيصاً من مكمنه عبر فتحة مشقوقة من الرداء ليصب فى فم الرضيع ذى الوجه الأسمر ما يكفيه حتى يسكت . إلى جوارها عنزة تلتهم قشر اليوسفى ووراءها طفلة صغيرة نائمة ودافسة رأسها فى دفء وطراوة مؤخرة الأم ، وإلى جوارها فيما يبدو أنه الزوج رجل أسمر نحيل وصامت مختص بالشيش والحجارة والمزاج بدا مشغولاً بتسليك الشيش بسيخ رفيع وطويل .

طبال يمسك بدف . ينقر عليه بحرفية كخلفية موسيقية لنداء بائع الملابس القديمة :

- الجينز بعشرين وتعالى شوف . . غريبة ياولاد . . الجينز بعشرين وتعالى بص . . إلبس واتهنا بعشرين . .أبو مية بعشرين .

فجأة وبالغريزة أسرعت فتواريت وراء بائع ضخم يقف أمام بضائعه من المكانس مختلفة الأنواع . . لمحت سيدة تشبه تماماً زوجتى السابقة التى لم تبق على ذمتى إلا عدة أشهر . . لم تختلف

كثيراً عن التى سبقتها ولم تبق معى غير عام بحجة إنها لاحظت أن طباعى لا تتفق مع طباعها، واعترفت إنها قاومت الإنجاب منى منذ أول يوم لأنها لمست مبكرا صعوبة الاستمرار.

أشحت بوجهى بعيداً حتى لا تتعرف علىّ، ولو تعرفت لن تعبأ.. تتمتع طول عمرها بغطرسة فارغة.. لا ليست هى.. هيا.. السوق لا يسمح بمزيد من التذكر.

وجوه الباعة معرض مثير من الملامح، كأن سوق الجمعة ليس سوقاً للبضاعة بقدر ما هو سوق للبشر.. بائعة شابة يبدو إنها عروسة جديدة خرجت للسوق بعد أيام قليلة.. كفوفها محنية ووجهها مرسوم بدقة بالذات الحواجب وشعر البشرة يبدو منتوفاً منذ أيام فالوجه الأبيض ناعم تماماً والكحل بزيادة، والطرحة ملفوفة بإحكام، الغوايش تبرق على الساعدين المكشوفين، لعلهما يستدرجان بنضارتهما بعض الزبائن.. حالتها المتوهجة والمختلفة تدل على أنها جاءت إلى السوق بعد أن استحمت واستمتعت بحمامها.. نفسى فى زوجة مثلها.. مطيعة وبلا شخصية.. لا عمل لها إلا إجابة مطالبى دون كلمة إلا عندما أسمح لها.. مشكلة المرأة المتعلمة إنها صاحبة رأى وهذا يدفعها للمقاومة والعناد، ورأيك فى العادة لا يعجبها. إلى جوار العروسة رجل جهم الملامح، بوجهه أخدود عظيم يشق الجانب الأيسر بالطول من السوالف حتى الذقن فى شكل قوس.. كيف قبلته زوجاً؟!.. ما زالت العائلات تمارس ضغوطاً على البنات خشية العنوسة.. لابد أن تكون هناك صيغة

لوقف هذه الضغوط والملاحقة.. لابد أن التعليم سيفيد.. خسارة بنت كهذه مثل فلقة القمر تتزوج من متشرد وبلطجي بحجة أنه حماية لها من المجتمع. "ضل رجل ولا ضل حيطة".. في حالة كهذه ظل الحائط أفضل كثيراً.

اجتذب نظرى رجل بدا كأنه يلبس قناعاً.. معالم وجهه كأنها ليست من صنع الله.. الأنف كبير والفم واسع والعيون صغيرة تركب فوقها الحواجب الغليظة.. الأذنان كبيران.. الأغرب أن البشرة ملساء تماماً كأنها من البلاستيك، لا ندوب فيها ولا أثر لشعر في الذقن أو الصدغين، بينما هناك شارب كثيف.. شعره غليظ كأنه سلك.. رسم كاريكاتورى أو شخصية كارتونية من إبداع رسام فاشل.. أما الأصوات فتخرج من فمه بكل الطبقات والنغمات، وبعضها كأنها لحيوانات تتكلم في فيلم.

كيدمان سوف يبهره البحث.. كم هو مشتاق دائما لمعرفة ما يجرى خلف الكواليس المصرية!.. قال كثيراً إنه على ثقة: إن الأبحاث حول الشخصية المصرية ربما تستغرق عشرات السنين على يد مئات الباحثين، لأن مصر بلد العجائب والغرائب وليس هناك سياق واحد ينتظمها أو يحدد ردود أفعالها في أى زمن.. ابتعد الآن يا كيدمان.

مال فتى وقرص جارته الشابة في أعلى فخذها. ابتسمت بغضب مزيف وضربت يده بشدة رقيقة.. عاود القرص واللمس والتحسيس إلى أن قفزت مبتعدة تنادى على كوز العسل الذى لا تهتم ببيعه.. تابعت البشر من الزبائن الذين يقلبون في المعالق

والسكاكين والأجهزة القديمة والملابس والتوابل وأدوات الزينة والملاءات والنجف والأحذية والنظارات حتى بلغت منطقة فسيحة لكنها محتشدة بالبشر. أسلمت نفسي لأمواجهم التي تدفعني من الخلف بإصرار ناعم.. كم كبير من أحواض سمك الزينة.. الأسماك لا تكف عن الركض والحركة والصعود والهبوط والمروق بين غيرها في مرونة وبراءة.. العيون أغلبها جاحظة.. حدقاتها تدور وتبحث وتحدق والأفواه تلتقط الطعام الذى لا أكاد أراه.. حديقة رائعة من الأسماك مختلفة الأشكال والأحجام والأنواع والألوان.. الألوان بالذات معرض فاتن للتناسق والتناغم والتصميم بما يؤكد إن الأسماك المصدر الأول لمصممي الأزياء على الأقل فيما يختص باختيار الألوان وهارمونية نغماتها.

عدد كبير، ربما بالمئات يلتف حول الأحواض ويحدق فى الأسماك.. لا يكتفى بالمشاهدة.. أغلبهم يسأل ويختار ويشترى.. لم أكن أتصور أن هناك من يهتم بهذه الأسماك إلا علية القوم والأثرياء.. لكن شباباً كثيرين يشيرون إلى أسماك معينة ويشترون.. يسرع الباعة فى تعبئتها فى أكياس بلاستيك شفافة وملئها إلى المنتصف بماء دافئ.. حدثونى عن السمك وجماله وأنواعه وتكاثره.. كانوا يتحدثون بشغف وسعادة.. الوجوه مشرقة والعيون تلمع.. والكلمات تتزاحم وتتقافز فوق الألسنة بما يدل على إنها بالنسبة لهم.. أعز الهوايات.

قال لى أحدهم وقد لمس رغبتى فى السؤال:

- هذه السمكة إنجل وتلك البرتقالية فانتيل، والصغيرة السوداء كوى.

أسأله عن سمكة غريبة لها كيسان كبيران كبالونتين على جانبى عينيها.

- إنها دابل أيز.

أسأل عن طعام الأسماك وحياتها فى الماء.. يتدفق الجميع ويتنافسون فى الرد موضحين إنها تجرى فى الأحواض وتلعب وتحب وتمارس الجنس وتحمل وتفقس البيض.. الأحواض لها مواتير ومواسير بالكهرباء لتوفير الأكسوجين وتجديد المياه، ولتجعلها فى درجة حرارة معينة صالحة لحياة الأسماك.

معلومات كثيرة تتوالى عن الغذاء والجماع والقبل وتجهيز المياه والنظافة.. قال الكثيرون إنهم يجلسون أمام الأحواض بالساعات دون ملل.. عالم جميل يصرفنا عن عالم آخر يمتلئ بالقبح والضجيج.. عالم مريح للنفس. يغسل الهموم. يجعلك متفائلا وهادئاً ومستعداً للتسامح والتماس الأعذار لمن يخطئون.. إنه العالم الذى يرسم الطريق للحب.

ابتسمت، فقد كان كلاماً رومانسيا بشكل مبالغ فيه وربما غير حقيقى.. لكن الذى قاله هم الزبائن وليس الباعة.. عندما تحولت لأزن ما يجرى وقعت عينى عليها.. تسمرت.. فتاة بسيطة.. عيناها جميلتان واسعتان وخصلة من شعرها تتدلى على جبينها.. ملامحها دقيقة ومنمنمة غير أن شفتيها ممتلئتان حمراوان لم يخلقاً

إلا للقبل الطويلة العميقة حيث ينهل العاشق من الرحيق المعتق ويسقى عمره وحياته وقلبه المتعطش.. تسمرت.

تقف خلف عمارة صغيرة من أحواض السمك.. انهمكت فى استخراج سمكات صغيرة صفراء من أحد الأحواض بشبكة فى حجم مغرفة.. تضع السمك فى كيس شفاف من البلاستيك به ماء دافئ.. صدر ممتلئ وخصر نحيل وشعر كثيف وطويل يتدلى حتى آخر سلسلة ظهرها، تتفجر بالصحة والشباب.. ترد على كل من يسأل بابتسامة.. لا تضيق بكثرة الأسئلة.. ثقافة سمكية متدفقة وبساطة مع خفة وحركة.. لمحتنى مع أنى كنت أقف خارج مدار زبائنها وأحواضها.. أمسكتنى متلبساً بنظراتى المتفحصة.. تزن وتتأمل وتدهش.. أدركت أننى لا أريد سمكاً وليس لدى حوض.

لا أظن أنها وحدها بين كل هذه الأحواض وفى مواجهة الزبائن.. حضر فى الحال أخوها حاملاً قبابا خشبية (فرونتورا) تماثل الوجهات العليا للمعابد الإغريقية والرومانية. رأيت مثلها فوق بعض الأحواض.. أضافت جمالاً للحوض الزجاجى.. وضع حمله على جنب ووقف أمام عمارة أخرى من أحواض السمك.. ظهره فى ظهر الفتاة تاركاً ممراً ضيقاً للمشترين.. تحدث إلى عجوز يجذب الأنفاس من الشيشة.. هو لا شك أبوه.

هذا هو اللون الذى أبحث عنه من الزوجات. هذا الجسم وهذا السن وهذا الوجه وهذا الذكاء وهذه البساطة وهذا الجمال.. كانت السابقات من عائلات معروفة وثرية، حتى من خطبتها وتخلصت

منى قبل الزواج كن جميعاً يحملن فى أعماق قلوبهن شعورا بعدم الرضا الكامل من الزيجة كأنى عار.. قالت التى خطبتها بوضوح سافل: العزوبية ولا الجوازة العرة.. كدت أخنقها إذ أنا من أنا.. أستاذ جامعة يجلس أمامى الآلاف من الطلاب، منهم عشرات الطالبات يتمنين فقط أن ألقى عليهن نظرة. من السهل جدا أن يصيب الغرور النساء. وكثيراً ما تتسبب فى ذلك معاكسات الشباب الطائش فى الشارع، تلك المعاكسات التى لا غرض لها غير التسلية والتخلص من الملل، فتتصور بعض البنات أنهن حزن الجمال ومن حقهن أن يتدللن لمجرد أن ولدا قال لهن وهو غافل: خف يا جميل علينا أو ارحمنا من عينيك القتالة.

قررت أن أتزوجها.. قطة أليفة لذيذة وناعمة.. لن أشبع من التهامها ولن تكون مزعجة. لطمنى اعتقاد بأن الشاب ربما كان زوجها.. دنوت منها محاولاً البحث عن دبلة فى أحد أصابعها.. لم أجد شيئا.. لحتنى من جديد.. الذكية بنت الذكية رمقتنى بنظرة كأنها تسألنى:

– ما حكايتك؟

ظللت واقفاً أتظاهر بالتحديق فى السمك حتى خفّت الرِّجْل قليلاً واختفى أخوها.. دنوت فجأة، وقلت لها:

– أنا أستاذ جامعة وإنتِ عجبتينى.. ممكن تتجوزينى.

كنت أحسب أنها ستتهاوى من طولها أو تسقط الشبكة من يدها.. نظرت إلىّ بغير رضا وقاستنى من أعلى لأسفل مرتين، ثم

عادت لخدمة عشاق السمك. كان المفروض أن تهتم بمن طلب شراء البلطية.

أعرف أني أحمق.. ليس كل الوقت بالطبع.. وما كان يجب أن أتسرع بالعرض، لكن الاستجابة غريبة.. موقف محير لا يدل على أدنى الاهتمام.. ألست لُقْطة.. عريس به كل المواصفات الجذابة لفتاة بائعة وربما بائسة.

عدت أسألها:

- إيه رأيك يا بنت الناس؟

قالت بحياد قاطع بطعم الرفض:

- أنت كبير

- أربعين سنة.

- وأنا ١٨ .

- لا أنت واحد وعشرين.

ابتسمت وقالت وهى تضرب صدرى بيدها المبتلة:

- يخرب بيتك، والنبى صح.

فرحت للدعابة التى طلعت علىَّ من وجه زادته الابتسامة جمالاً.

- إيه رأيك؟

- بتشتغل إيه.

- أستاذ جامعة.. دكتور.

- بس أنت متجوز.

- كنت .

- عندك أولاد .

- ولا ريحتهم .

انشقت الأرض وظهر أخوها فجأة، يطلق من عينيه الشرر.

- فيه إيه يا أفندى؟

لا أدرى لماذا اضطربت جدا وكادت أوراقى ونظارتى تسقط منى كأنى كنت أسرق . . قلت له وأنا أحاول التماسك :

- إيه مالك يا أخينا . . بسأل عن السمك .

ضحكت البنت وقالت :

- سمك ! . . بيقول عايز يتجوزنى .

هممت أن أفرح لقولها حتى ندخل فى الموضوع مباشرة، لولا اشتعال وجهه وبسرعة كانت المطواة فى الجو ومعها عيناى، ثم التقطها واقترب منى . . دس أنفه فى عينى .

- بتكذب من أولها .

- أنا كنت .

- ح نفوتها لك المرة دى . . أبويا عندك .

التقطت أخيراً أنفاسى بعد أن كنت قد أوشكت على الانهيار رُعباً . . سحبت كرسياً وجلست جنب العجوز . . مد لى بوز الشيشة . . رفضت ونقلت له على عجل رغبتى دون لف أو دوران . . وافق . . لم يتكلم فى أى جهاز أو مهر أو فرش وملابس وشبكة . . قال بحدة :

- حسك عينك تزعلها.. ثمر الجنة عندى بالدنيا.

لم أفهم: يعنى إيه ثمر الجنة؟

- ثمر الجنة بنتى..

- اسمها ثمر الجنة؟! الله

سرحت استطعم الاسم وأدهش لدهاء المصريين الذين يجملون حياتهم بالأسماء ويتخلصون من الفقر والنكد ببعض الزينة البسيطة.. لكزنى العجوز فى كتفى قائلا:

- لو اشتكت منك يوم مش ح تكفينى عيلتك.. إحنا فاتحين مع السجن أبونيه.

- فى عينيَّه يا عم الحاج.

تزوجنا بعد أسبوعين.. تمرغت فى العسل غير عابئ بالجامعة والأبحاث والترقية وكيدمان وقلت بمنتهى الجسارة.. طظ فى أمريكا واللى يتشدد لها.. كنت مشغولا بقاع المجتمع اللذيذ.. جننت بالجسد المشتعل، وعندما أتداعى وتنفك كل مفاصلى أتأمل الوجه الجميل.

أكثر من مرة قلت: عبقرى اللى سماكى ثمر الجنة اسم على مسمى

بعد شهور سألتنى.. بمناسبة تكرار مدحى لها ولاسمها.

قالت: يعنى أنا لى قيمة عندك؟

قلت: طبعاً.. بس سامحينى لأنى بشخر وأنا نايم.. تصورى مرة سمعت نفسى وأنا بشخر.

قالت في شبه صفعة: مش مهم الشخير.. المهم الكذب

تجاهلت كلامها لأن الأمر لا يخلو أحياناً من تغيير معلومة أو اثنين.. مما يزعج البعض، وأرى أن الموضوع لا يستحق.

قلت: سامحيني، لأني مش فاضي أفسحك.

قالت: مش مهم الفسحة.. المهم المحاصرة والمراقبة.. أنت تسأل عني الخدامين والبواب والجيران، غير اتصالاتك بالتليفون الأرضي والمحمول، غير أسئلة كتيرة غرضك تمسك تصرفات أو كلام تحسبه عليّ.. أنت شخص شكاك وما عندكش ثقة بنفسك.

أفزعني الهجوم المتواصل.

قلت من قلبي: غيرة وحب.

قالت: اللي ما يشوفش من الغربال يبقى أعمى.

سألتها: ليه تقولي كده؟

قالت: لإنك بتشك عمّال على بطال.

بعد ستة أشهر أخذت ذهبها فقط وتركت البيت.. لم أصدق.. زلزلني ما وعيته بعد وقت. مؤكد غواها أحد.. حبيب أو أخ.. لم أقصر معها لحظة.. لم أغضبها كما طالبني أبوها.. وفرت لها حياة لا تتوفر لأميرة. المرأة كائن غريب.. مجنون ومعقد متعذر إرضاؤه.. لا.. لن أتركها أبدا سأستعيدها مهما كلفني ذلك، وسوف أسكنها في سجن محاط بالسلاسل والحراس.. هذه الجوهرة الثمينة والنمرة الشرسة لابد من أحاطتها بما يحميها من نفسها ومن اللصوص.

مضيت إلى منزلها وهو مقبرة فى الإمام الشافعى.. سألت أمها عنها.

قالت: فى السوق.. أنصحك ما تروحش.

لم أهتم بالتهديد.. سأجرها حتما إلى بيتها.. لا أقبل أن تقف زوجتى فى السوق لتتلقى النظرات والكلمات الخارجة. ،

– إنت سبت البيت ليه؟

لم تلتفت إلىّ، وقالت فى ازدراء:

– بيت.. كل اللى عندك أقل من ثمن شبشبى ده.

تمالكت أعصابى المتوترة المستعدة لكل شىء حتى ارتكاب جريمة أو على الأقل فضيحة.. لم أمنع نظرى أن يهبط إلى الشبشب الممزق والملوث بالوحل.

قلت ببرود مصطنع:

– طب إنت هنا ليه؟

– أخويا ضرب واحد ودخل السجن

– إمتى؟

– أول امبارح

– لو سمحت تعالى معايا.

فجأة تألمت من وخز السكين فى بطنى.. كانت قد اختطفتها دون أن أدرى من أين، فقد كانت يدها فارغة.. أكلت أسنانها وهى تقول:

– إيه رأيك؟.. فات وقت الكلام.. إنت قشرة.. عارف يعنى إيه قشرة؟

كلامها صفعات متلاحقة.. لم تترك لى فرصة لأى كلمة مهذبة.. لمت نفسى بشدة لأنى سمحت لها بإهانتى أمام الناس والسمك.. قررت أن أتركها الآن والعودة مرة أخرى.. لعل وعسى..أنا قشرة !.. يا نهار أسود.. كلمة واحدة مهذبة، لكنها قاتلة وماحقة. قشرة تعنى مجرد شكل لا علاقة له بباطن سئ، وتعنى رجل فالصو.. كله مزيف.

اشتقت إليها فقد كانت بالفطرة تعرف كيف تصنع البهجة وتغرقنى فى السعادة.. ذهبت إليها فتركتنى بين الناس بلا كلمة وأنا مجرد شحاذ يقف بباب السلطانة والجميع يدهش لحالى.. كنت أتسول نظراتها.. قلت لوالدها:

- خد كل ما أملك وأعد زوجتى إلىَّ؟

سحب الأنفاس من الشيشة بمزاج ونفخها لأعلى، ثم قال:

- أهى عندك تفاهم معها.

أحببت السمك ذلك الكائن الوديع بلا ادعاء.. الماهر بلا جبروت.. حاولت أن أعرف أسراره وأهواءه وأمانيه.. سلمت له نفسى كى يهدينى بصبره وتغاضيه عن أدران الوجود.. قررت أن أعوم كما يعوم السمك فى الحوض.. طلبت منها أن تعلمنى.. علمتنى وقضيت شهوراً معها أمام السمك، السمك الذى استحوذ على.. أبيعه لمن يريد وأدله على طرق خدمته ورعايته ليكون بهجة دائمة له.

أذهب إلى الجامعة يومى الثلاثاء والأربعاء والمركز الأمريكى للدراسات مع كيدمان يوم الخميس، أما ثمر الجنة فأنا معها يومى

الجمعة والأحد أخدم السمك وأحبابه، إلى أن رضيت وقبلت العودة إلى البيت، والأيام موزعة كما هى.

وكما علمتنى السمك.. علمتنى الحياة.. وعلمتنى احترامها.

لم أسأل عن الذهب، لكن أباها قال مرة:

- الذهب أخرج أخوها من السجن.

أصبحت أومن - على عكس ما كنت أومن من قبل.. بأن الحب أهم من الذهب.. وثمر الجنة أهم من الحياة.

من مجموعة " سوق الجمعة"

## زنجبارى

لم تندمل جروحه، وكيف تندمل وهى عميقة ودماؤها لازالت ساخنة رغم مرور الشهور؟!.. هل تندمل بمجرد إلقاء القبض على مرتكبى الجريمة؟.

كانت لها صورة كبيرة معه وهما يقفان إلى جانب المسلة المصرية ووراءهما البيت الأبيض فى واشنطن، معلقة فى البهو الكبير فوق بايوه يعلوه شمعدانات نحاسيان وساعة.. هدية "سناء" إليه فى عيد ميلاده.

بعد الحادث المفجع أخرج صورا كثيرة لها وكبرها وغطى بها الجدران.. تملأ روحه وقلبه وعقله، ويجب أن تملأ الفضاء والهواء وتتجلى أمام عينيه فى كل مشهد، يجب أن تلون ببسمتها المشرقة كل الأركان وتشغل بحضورها النسيمى كل المسافات.

يتساءل صباحا ومساء.. في منزله وفي المكتب.. كيف يعوض غيابها؟.. كيف يستعيدها؟ بل كيف يحييها من جديد؟.. يقول: لست بحاجة إلى أن أتذكر بأن من ذهب لا يعود، لكنها يجب أن تعود وتبقى طوال حياتي على الأقل لتؤنسني بروحها الأثيرية وشعورها الملائكي.

كل أحاديثه يوجهها إلى نفسه وأحيانا إلى الله، وأكثرها إلى وداد.. سلحفاة اشتراها لها من الهند. عندما داعبتها ولمست درقتها بأناملها الرقيقة لم يفكر لحظة، اشتراها من الهندي الضئيل الذي كان يقعد أمام قفة بها عدد كبير من السلاحف وفوقها كلب صغير.. تهلل وجهها.. حملتها إلى فمها وقبلت خطمها الصغير.. توجست السلحفاة وتراجع الرأس إلى الكهف.. حاولت سحب يديها وقدميها، لكنها عادت فأخرجت رأسها وقبلت سناء..

سألته: لماذا يضع الرجل الكلب مع السلاحف هل ستهرب؟ وتضحك بصفاء غريب.. وقف يحدق في صورتها وهي أمام جامع أيا صوفيا في اسطنبول، ثم تحول إلى صورتها أمام كنيسة نوتردام بباريس قبل أن يذهبا إلى متحف اللوفر مشيا على الأقدام.. انتقل إلى صورتها وهي في ميدان سان مارك بفينيسيا.. سالت دموعه، ويحدث هذا كثيرا.. كان الحمام كله تقريبا قد اتجه نحوها وإحدى السيدات في الصورة تحدث جارتها عن الحمام الذي تجمع حول سناء دون الآخرين وطلع على كتفيها ورأسها، وتوزع على يديها وحاول تسلق فستانها الموف.

تـذكـر كـيـف رعـت والـدتـه إبـان مـرضـهـا الأخـيـر ، وأصـرت عـلى أن تـطـعـمـهـا وتـسـقـيـهـا بـنـفـسـهـا وتـسـنـدهـا لـتـمـشى بـدلا عـن الـمـمـرضـة ، مؤكدة أن المشى له فوائد لا تحصى حتى لمن لا يقدر عليه ، واختارت لـهـا عـددا مـن أسـطـوانـات الـمـوسـيـقـى الـعـالـمـيـة والأغـانـى المـصـريـة الشجية . . كانت تقول :

– الحياة تهاجم بضراوة وعلينا أن نقاومها بالموسيقى والفنون .

المرور على صورها ، برنامجه اليومى الذى يشفيه بعذاب التذكر ولو مؤقتا . . يرفض أى محاولة لمقارنة سناء بإنسانة أخرى حتى أمه . . مقارنة بالقطع ظالمة للآخرين . . المقارنة لا تكون إلا بين أنداد أو نظائر .

لأن الله لم يمن عليهما بالإنجاب أسست جمعية لرعاية أطفال الشوارع والأيتام ، واجتذبت إليها الفنانين ورجال الأعمال وصديقاتها زوجات السفراء المصريين والعرب والأجانب . . مئات الصور تحتفظ بها فى دولابها مع هؤلاء الأطفال .

عاد فجأة من مدريد وعلم إنها بالجمعية فقرر أن يزورها . . طلب من سكرتيرتها ألا تخبرها بحضوره . مضى إليها حيث كانت تسرح شعر طفلة وتعمل لها الضفائر كما طلبت ، ثم تحولت إلى طفل آخر لتساعده على إعادة ارتداء قميصه الذى تبادلت أزراره مواقعها . . اكتشفت وجوده فحيته وحياها . . ابتسمت وهى تقول :

– سأفرغ لك حالا بعد توزيع وجبة الإفطار .

متعجبا رآها وهى تعلمهم الطريقة الصحيحة لتناول الطعام وتشرح لبعضهم كيف يمسك الملعقة والشوكة، وأهمية مضغ الطعام، وأكدت على ضرورة البدء باسم الله والختام بحمد الله وشكره.

جلس على الكرسى الهزاز فى مكتبه.. تعود أن يقرأ عليه، ويفكر فيها وهو مستسلم لهزات الكرسى البسيطة التى تذكره بأول مرة تعلم فيها قراءة القرآن فى كتاب الشيخ قطب فى مدينة بسيون. كان الشيخ يهتز عند القراءة فقلده متصورا أن القراءة لا تصلح بدون الهز، ولما فهم بعد ذلك ألاّ رابط بينهما كانت قد أصبحت شبه عادة، ليس مع القراءة ولكن مع الكرسى، حيث تحقق له متعة الاهتزاز الذى تسترخى معه الأعصاب.

مضى يفكر فيها حتى تمتمت دموعه فشعر بالراحة عندما توازنت بأعماقه حالة الحزن مع حالة الرضا.. تهبط السماء إلى روحه وتربت عليها وتهمس لها بضرورة قبول مشيئة الرب التى نسجت خريطة الأعمار على نحو يتعذر على عقول البشر إدراكه، وقد خلق الله الإيمان لتجاوز المسافة بين البشرى والإلهى.

فى أعمق أعماقه يردد دائما:

- اللهم لا اعتراض.. لكن ليس كل فرد يستحق أن يغادر أحبابه وأن يحرموا منه، وأنت من خلقت بشرا ملائكة، كانوا هم القادرين على أن يجعلوا الحياة جديرة بأن نحياها.

تكررت تلك المشاهد كما تتكرر الأيام أحيانا حتى أذعن للقضاء، وإن لم يستطع كبح نفسه عن صب فادح اللعنات على

الذين اختطفوا السعادة من حياته، ولو اختطفوا حياته كان أفضل من تركه كخرقة ممزقة ومهانة بالت عليها كل الحيوانات وعاشت في العراء أتعس الليالي.

بعد أن غابا عن القاهرة ستة أشهر كاملة في كوالالمبور عادا في إحدى الليالي بشكل فجائي وبلا سابق إعداد. طلبته أخته في أمر عاجل ولم تفلح التليفونات في علاج الموقف المتصدع.. كان الخلاف شديدا بينها وبين زوجها ولم يبق إلا الاتفاق على شكل النهاية.. ترك سناء وأسرع إليهما يحاول إطفاء النيران المندلعة بضراوة بسبب اكتشافها زواجه من أخرى.

في نحو الثانية عشرة اتصلت سناء بزوجها لتطمئن. تحدثت إلى وردة أخته وزوجها في محاولة للتقريب واعتذرت لما تعانيه من إجهاد شديد وبوادر أنفلونزا اضطرت معها لابتلاع كم من المضادات الحيوية. أسرّ إليها زوجها بأن المصيبة مضاعفة لأن "سمير" الذى سعى لتعيينه بوزارة الخارجية ضرب المحظورات وتجاوز الخطوط الحمراء فهو دائم السهر مع أصدقائه وسكير.

تناولت ملعقة عسل نحل وأطفأت الأنوار ودخلت الفراش وسرعان ما ابتلعها النوم الذى لبى دعوة الإجهاد والمرض والسفر الطويل والمضادات الحيوية.

في الواحدة تقريبا دخل ثلاثة لصوص الفيلا مرتدين الأقنعة. مضوا ينقلون إلى سيارتهم نصف النقل مطفأة الأنوار كل ما غلا ثمنه وخف وزنه حتى امتلأت السيارة، وانتقلوا إلى حجرة النوم

حيث توقعوا وجود المجوهرات وسرعان ما عثروا عليها، ولم يتمكنوا من فتح الخزانة أو حملها فاكتفوا بما جمعوه، لكنهم فوجئوا بمن يهتف بصوت متحشرج:

- سناء.. سناء.

في ركن من البهو الصغير بين الحمام وحجرة النوم كان الببغاء ينادى صاحبته، وقد أدرك الخطر بعد أن داهمته غفوة. مضى يصرخ ويرتطم بشدة في جدران قفصه حتى اندفع إليه أحد اللصوص فحمل القفص وأسرع إلى العربة عله يسكت، لكنه واصل صراخه إلى أن غادر الفيلا.

كان اللص الثالث بالحمام قد سمع حركة بغرفة النوم فأطل برأسه ورأى امرأة في ثوب شفاف يخدرها النعاس، تسأل وهي لا تكاد تصلب طولها.

- هل عدت يا مراد؟

أسرع اللص بضربها بتمثال فينوس ضربة ثقيلة على رأسها واندفع خارجا ليلحق بالسيارة التى انطلقت على عجل تشق طريقها في ظلام المنطقة الهادئة.

لم تمر دقائق حتى وصل مراد.. راعه ما وقعت عليه عيناه.. كل الغالى ذهب. اللوحات العالمية التى زينت الجدران.. التحف الثمينة.. الفيلا تبدو كالدجاجة المخلية.. جدران وأثاث بارد وعندما لمح جسد سناء على الأرض وهزها أدرك أن الخراب اكتمل.. جلس على الأرض من هول الذهول. كانت أمام عينيه جثة هامدة كقطة

دهستها سيارة نقل . الجسم طرى ودافئ . . ارتجف . فقد القدرة على التصرف . لم يعثر على أى أثر للحياة فى الجسد المسجى بإهمال . رأسه على وشك الانفجار . أحس بالتداعي . تماسك أخيرا واستدعى الخفير العجوز ، واستسلم لسلسلة الاتصالات والدهشات وحمى الفجيعة .

قبل أن يمر شهر كانت الشرطة قد قبضت على اللصوص القتلة عن طريق باعة الذهب ببنى سويف .

توقف تقريباً عن الكلام . انتهى الكلام لما غادرت الدنيا سناء . . توقف تقريبا عن الطعام . . ليس لأى طعام مذاق مهما كان شهيا . . المذاق الحلو اللذيذ مصدره سناء . . النزهات والتصوير لمن ؟ . . الهدايا الجميلة لمن ؟ . . الحب والفرح والحنان لمن ؟ . . بل لمن العمل والمناصب والسفر ؟ وهذه الفيلا لمن ؟ . . وفيلا الإسكندرية وأرض البدرشين . . لمن إلا لها . . لابد أن يبقى كل شيء لها حتى بعد الغياب الأبدى .

جاءه الخفير يوما يقول :

– لقد رأيت كثيرا من تحف الفيلا المسروقة معروضة فى سوق الجمعة . . كنت وأخى بالأمس هناك ليشترى لابنته ما يلزم جهازها . . فرأيتها .

أصغى مراد وعلَّق بغير اكتراث :

– مثلها كثير فى كل مكان

كاد الخفير يقسم ، لكنه بكل حماس قال :

- لا يا باشا.. الفيل الذى يركبه الطفل والقرد ليس فى كل مكان.. النافورة وسمكها المرمر.. سامحنى يا باشا.. أنا لا أفهم فى هذه التحف، لكنى متأكد.

- شكرا..

قام فتمشى فى الحديقة الفسيحة ليبعد عن ذهنه كلام الرجل الطيب. صحيح أنه يود لو عادت الفيلا كما كانت، لكنه يشك فى أن هذه التحف معروضة فى الأسواق، كما أنه لا يعرف ما هذا السوق الذى حدثه عنه.. ثم يعود ليتبع منطقاً آخر يقضى بأن تكون الفيلا مجرد جدران صماء.. مكان أجرد لا أثر فيه لأى جمال أو تسلية أو سلوان. يجب أن يكون الإهمال والخواء حالها بعد سناء.

- فى ركن من الحديقة، كان الزير قائما فى موضعه يشكو الظمأ، وإلى جواره صينية القلل التى كانت تتأكد من امتلائها بالماء المكلل بالورد والمستكة أو يزينها غصن صغير من نعناع أو ريحان، خطا بضع خطوات حتى الفرن البلدى الذى كانت زوجة الخفير تخبز فيه الفطائر والبتاو، وتسوى فيه أبرمة الأرز المعمر والبطاطس باللحم الضانى وتشوى البطاطا وأكواز الذرة.. لم تكن سناء تستغنى عن الجو الريفى الحميم، وهى صاحبة فكرة إحضار نورج من البلد، وها هو يقبع فى الركن الغربى منعزلا تحت خميلة عنب ظليلة وحوله بضعة كراسى من خشب الشجر دون تهذيب. لمس مراد كل شيء وحدّق فيه، وسأله عن سناء حتى انهمر وراء الأسئلة نهر الدموع..

قرر أن يقوم بالمغامرة.. لبس بدلة بسيطة دون رابطة عنق ونظارة شمسية سميكة، مضى مع السائق والخفير إلى السوق.. صدمه مشهد الساحات المفتوحة، لا توجد محلات أو مبانى أو شوارع وأرصفة وعلامات إرشادية وجراج للسيارات.. كان كل شيء فوق كل شيء وعلى الأرض وتحت الأعين وفى متناول الأيدى. انزعج.. كاد يرجع من حيث جاء لكنه شعر بقوة تجذبه ليتأكد من أن هذا المكان العجيب يمكن أن يجد فيه تحفه التى يعتز بها ويفرح بها بيته، وقد جمعها من معظم دول العالم، ولم يبخل عليها مهما بلغ ثمنها.

فوجئ بالجماهير الغفيرة، ولم يتحمل فكرة المشى وسط العربات المتلاصقة والزحام الكثيف وكثير من البسطاء والفقراء وربما الجوعى واللصوص والدهماء.. الأبدان تحتك وتتخبط بقصد وبغير قصد.

كانت المفاجأة الأولى مزلزلة، فقد عثر عند بائع تماثيل فرعونية، حجر ورخام وعملات ورقية ومعدنية على بعض النياشين والأوسمة الخاصة به وقد نال أربعة منها فى مصر وثمانية فى الخارج، ووجد سيفاً أهداه إليه الملك فيصل لدى بائع السكاكين والمدى والخناجر، ووجد بروازا كبيرا بداخله آية قرآنية محفورة على الخشب ومطعمة بالصدف ورقائق الفضة، كان قد أهداها إليه فنان تركى فى أنقرة لا يمكن نسيانه بعد أن ساعده فى إعادة زوجته المصرية إليه.

عثر على علبة سجائره الفضية المنقوش عليها اسمه، وكانت هدية من السيدة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا ردا على هديته إليها.. أزعجته كثيرا النداءات العالية والصادمة من الباعة.

- الحقوا.. البضاعة دى مهربة ونبيعها بتراب الفلوس.

- الحقوا البضاعة المهربة.. الحقوا الغالى بتراب الفلوس.

- بسبعة ونص.. صاحب البضاعة اتجنن.. قالنا بيعوا بسبعة ونص.. الحق بسبعة ونص.. اتجنن خلاص اتجنن.. سبعة ونص.

لم يتصور أن يكون هناك مطرب شعبى يحمل الدف وينقر عليه منشدا المواويل ومشيدا بالبضائع التي يبيعها صاحب الشادر.

حاول أن ينتزع من شخصيته تاريخه ومنصبه وعائلته ومركزه الاجتماعى وحساسيته تجاه كل ما هو شعبى.. عليه أن يمضى بحثاً عن ثروته وأن ينهى المهمة بأقل خسائر ممكنة.. لم يستطع أن يمنع نفسه من تصور إمكانية تعلق بعض البراغيث والقمل فى ملابسه، ليس مستبعدا لأن هذه الحشرات لا تكف عن الطيران والقفز وهى بالتأكيد ذكية.. سوف تشم رائحة عطره الفرنسى، بل ستشم رائحة الصابون الأسبانى الذى لا يستعمل غيره.. يجب أن يتكيف لمدة ساعة تظل ذكراها محفورة فى تاريخه حتى بعد أن يموت.. الخفير الذى كان يشترى ما يأمره به سعادة السفير ويحمله إلى السيارة ويعود مسرعا، أشار له على الفيل الذى يركبه الطفل والقرد وكذلك النافورة المرمرية.. دفع المطلوب وحملها إلى السيارة، وفى غيابه عثر مراد على علبة شيكولاته مطلية بماء الذهب

أهدتها إليه بناظير بوتو عندما كان سفيرا في باكستان وكان ضيفا عليها في بيتها الذي أنشأته على جبل خارج إسلام أباد.

انتهت المفاجآت بعثوره على طقم الشمعدان الخاص به كاملا مع الساعة، وكان قد ألغى فكرة شرائه فهو مجرد شبيه مكرر، يوجد لدى كل الناس ولم تعد له مكانة مرموقة كما كان، لكنه ألقى نظرة عابرة عليه من الخلف إرضاء للفضول فعثر على حرفي .. s.m سناء ومراد فأشار إلى الخفير كي يشتريه، وسبقه محاولا الفرار من المكان الذي لا يذكر إنه رأى مثله، مع أنه كان وسناء يخوضان في الكواليس والأحياء الشعبية في البلاد التي عمل بها أو زارها معها سائحين.

تذكر أن سناء كانت تحب الببغاوات. سأل عن ركنها. قيل له إنها مع العصافير.. متثاقلا مضى إليها وهو يشعر أنه يسد خانة.. وجد أنواعا عديدة من العصافير.. الكوكتيل الأصفر بعرف للخلف، والكوكتيل الرمادى والفيشر والاسترالى وأنواعاً أخرى كثيرة ألقت في روعه محبتها، منذ سنوات كانت سناء قد اقتنتها، لكنها صدمت بموت الكثير منها فتوقفت عن حبها وتدريجيا نسيتها.

حاول الباعة إغراءه بشرائها بسبب تأثيرها في البيت والونس الذى تشيعه ولجمالها والتسلى بالنظر إليها.. ومنحهم جميعا أذنا غير واعية ولا مبالية، وسأل من جديد عن الببغاوات، قيل له من النادر بيعها في السوق لأنها تحتاج إلى خبرة خاصة، وزبونها في

العادة لا يأتى إلى السوق وإنما يذهب مباشرة إلى محلات وسط البلد فى الشواربى وسليمان وقصر العينى .

دنا منه ولد صغير وقال :

– يا بيه . . يا بيه . . فيه بغبغان فى آخر الشارع ده بعد العصافير . . بس هات جنيه .

قال فى سره وهو يمنح الطفل ما طلب مع ابتسامة ! !

– لا بأس من نظرة .

وجده عجوزا ضامرا . رمادى ورأسه فضية . نحيل شعر الرقبة مغبر الملامح كأنه خارج لتوه من تحت الأنقاض . سأل البائع عن سنه . . قال :

– سنتين .

– أظنه أكبر .

– لا يا بيه .

– ثمنه ؟

– ده زنجبارى يا بيه . . أحسن نوع فى البغبغانات .

– ثمنه ؟

– أنا اشتريته من سفير المغرب وكان شاريه من جنوب أفريقيا . . لكن هوه أصلا من زنجبار .

كاد يفر من البائع بسبب الثرثرة والكذب . . تذكر أن البائع السنغافورى ذى السنَّة الواحدة . . قال : إن أفضل البغبغانات من زنجبار لكنه لا يريد أن يشترى من هذا البائع المستفز . . سناء تدعوه للشراء .

قال بضيق شديد :

- ما ثمنه ؟

- علشان خاطرك ميتين.

- اتفضل.

- إيه ده.. خمسين.. لا يمكن.

- بلاش

- خليهم سبعين.. إحنا لنا فى الزبون نظرة.

- امسك.. هات البغبغان.

- اتفضل يا بيه.

حمل مراد القفص نادما.. لماذا يشتريه؟ يحتاج إلى رعاية وأنا لن أنفعه، وهو عجوز أيضا وجربان ويبدو غبياً، ويمكن أن يفقد البصر قريباً.. شكله غير مشجع بالمرة.. ربما تحبه سناء.

استقل السيارة وهو يفكر فى هذا المكان الغريب وهذا التجمع الرهيب لكل ما سقط من القاهرة أو انتزع منها.. ومع ذلك فكل شيء فى السوق مناسب لبعضه.. البضاعة والناس.

دخل الفيلا تاركا السائق مع الخفير والخادم ينقلون ما تم شراؤه.. تنفس برضا وقد غلبه إحساس بأن سناء سوف ترتاح قليلا فى قبرها، صحيح أن اللوحات العالمية وأهم التحف لم يستردها، والشرطة وعدته لكن البعض وصل، ودون أن يعى وجد نفسه يقول بصوت مسموع :

- ها قد عاد جزء من ممتلكاتك يا..

قبل أن يكمل عبارته.. صرخ الببغاء:

- سناء.. سناء

أفاق مراد وانهمرت دموعه فجأة.. ارتجف.. لم يجد الفرصة كي يدهش مما جرى.. أخرج الببغاء وقبله.. طلب له طعاما عاجلا وعاد فقبله، ثم بكى من جديد وهو يقول:

- مشّيت يا صاحبى.. مشيت الغالية..

حبس دموعه وقال:

- مبسوطة يا سناء.. مبسوطة يا حبيبة قلب مراد!!

عاد الببغاء يصرخ ويقفز:

- سناء.. سناء

من مجموعة "سوق الجمعة"

# المصيدة

مثلث جغرافى لا يكاد يعرف غيره، البيت والمقابر وسوق الجمعة.. ثلاثة أماكن - مرتبة حسب الأهمية - يتدله فى حبها.. ليست مجرد أماكن وإنما معالم فى جسده وروحه، وقلبه وعقله، كل منها له أدواته ولغته وناسه وأحبابه، وهو فيها جميعا صاحب كلمة وهيبة.. له أيضاً حب راسخ وإعجاب.

الأماكن الثلاثة لا يحتاج للحركة بينها إلى وسيلة انتقال، رجلاه تكفياه، ولا يحتاج ليؤدى دوره، ويلتقط لقمة عيشه إلى نظر، وربما لذلك حرمه الله منه قبل أن يولد، ومتَّعه بعقل وإحساس ولسان.. تعود الرجل أن يحمد الله آناء الليل وأطراف النهار على النعم التى لا يحصرها حصر. بكت أمه شهراً كاملاً عندما انتظرت أن يفتح عينيه بعد ولادته، فلم تفتح، وعندما - بعد شهور -

انفرجت الجفون نصف انفراجة بدت العين بلا إنسان.. مجرد مساحة رمادية تتحرك فيها سحابات غامقة كخرقة للمسح طال بها العهد، لكنه يسمع دبة النملة وتثاؤب الشياطين وحوار الملائكة، وكم أمسك بعضها متلبسة بتسجيل بعض أفعاله - إبان سنين الصبا - التى قد لا ترضى عنها السماوات السبع، وهو لا يجد غضاضة فى الاعتراف - فى ساعات الصفا والسمر - بأنه بدأ طريق الخطيئة مبكراً.

لا يغضب لأنه فى السوق يسمونه "المفتح" ويقولون:

- المفتح كان هنا من شوية.. المفتح جاء.. المفتح راح.

لكنه فوجئ بضابط الشرطة يسأله:

- قوللى يا مفتح.. تعرف محسنة؟

رفع وجهه إلى السماء نصف رفعة، كأنه يتأهب لاستقبال المدد ثم ابتسم، ولا يدرك من لا يعرفه إذا كانت الابتسامة سخرية، أم إنها دلالة على ثقته بما لديه من معلومات.. قال وهو يفرك كفيه الغليظتين:

- جارتى

- عرفت إنها اختفت؟

- لم تختف.. ذهبت لتزور أهلها فى شبين.

- إيه رأيك؟

- فى خلق السماوات والأرض؟

تنهد الضابط، ثم قال:

– فى سبب اختفائها ؟
– تعددت الأسباب والاختفاء واحد
– ركز يا مفتح ؟
– أكثر من كده
– عندك سبب محدد ؟
ابتسم المفتح من جديد ، وسأل الضابط :
– هل تعرف سبب تسمية الضابط بهذا الاسم ؟
– نعم وحياة أمك !!
– أجبنى إذا كنت تعرف ولا تأخذك العزة بالإثم
– ح تعمل مفتح علىّ يا أعمى ؟
اسود وجه المفتح
– إذن أنت كالعادة لا تدرى .. الضابط ليس من يضبط السارق أو الهارب ، الضابط من يضبط نفسه .. وواضح إنك لست بضابط .
احمر وجه الضابط ونفرت عروقه وجمع أصابع يده فى قبضة غاضبة ، وهم بأن يدفعها لوجه المفتح ، الذى قال له :
– هيا .. اضرب ؟
فوجئ الضابط واضطرب وأدرك أنه وقع فى شرك مع هذا الرجل المشكلة ، فاستدار على عجل وتبعه فريق الشرطة والمخبرين .
فى اليوم التالى جاء ضابط آخر يطلب منه الحضور للتعرف على جثة امرأة مشوهة الوجه ، ربما كانت جثة محسنة ، فقد وصلت إشارة

مجهولة بذلك من فاعل خير.. اضطرب المفتح وارتعد فقد ثار بركان بأعماقه.. لم يتصور الخبر، لكنه تماسك وقال:

- يا مندوب الحكومة.. كيف أتعرف عليها والمفتحين بحق وحقيقى لم يستطيعوا التعرف عليها؟

- تعالى يا مفتح يمكن يكون لك فايدة؟

- إذا كنت أنا مش شايفك وأنت زى فلقة القمر

- تبقى شايفنى!!

- إنت صدقت يا حضرة الأنباشى

- ضابط يا لوح.. غور.. عنده حق اللى عماك.

لم يشعر بأنه أعمى إلا هذه الأيام، ولم يتيقن أن الدنيا معتمة إلا هذه الأيام، بل لم يحس أبدا أن الحياة مقبلة على أيام سوداء وظالمة إلا هذه الأيام، ومع ذلك فهو على ثقة أن الجثة ليست لمحسنة.. إحساسه لم يخنه أبدا.. قالت من قبل إن أهلها يقاطعونها ولم تشرح الأسباب.. لم يدفعه الفضول لحفر البئر.

تنهد بعمق واحتضن بكل جوارحه وأعصابه سيرة محسنة التى ترحم كثيراً على من سَّماها، وكأنه كان يعلم - وهى لا تزال قطعة لحم فى حجم قطة - إنها ستكون فعلا محسنة، تطبق ببساطة وتدفق كل دلالات الكلمة.

تذكر حنانها وأكلها اللذيذ وسؤالها الدائم عنه.. ولول برأسه يميناً ويساراً، كأنه فى حلقة ذكر.. لا تنسوا الفضل بينكم.. لأول مرة دمعت عيناه التى لم تدمع إلا على أمه فقط من دون خلق الله،

وكانت حضنه الدائم، وسنده وحماه، وهى التى شحنت قلبه بالجسارة ودفست فيه جمرة نار لا تطفئها المياه.. لكن المياه فيما يبدو - أخيرا - تسربت.. سبحانه علام الغيوب.

عندما سكن عندها.. دخلت عليه وسألته:

- إزى الحال؟

- فى نعمة ما لها نظير

- أمال فين دولاب هدومك؟

- لا لزوم له.. توب علىّ وتوب على الوتد

خرجت فاشترت له جلبابا وكوفيه، وشبشباً من جلد متين تتحرك فيه براحتها قدماه الكبيرتان. ابتسمت أعماقه أولا ثم ابتسم جسده ونضحت الابتسامة على شفتيه.

عندما أحضرت له بطة محمرة هجم عليها وهو يقول:

- ونزعنا ما فى صدورهم من غل.

ولما قضى على معظمها. توقف وحمد الله.

قالت:

- كل كمان.

- شبعت.. يجعل بيت المحسنين عمار.

- خللى بالك.. المثل يقول: الأكل على قد المحبة!!

- إذا كان على محبتى يبقى لازم آكل كل ما على الأرض.

- يعنى مبسوط.

- لم أكن أتصور إن ربنا راضى عنى لهذه الدرجة.

قامت فحملت إليه الماء الساخن وأخذت تحممه باللليفة وتدعك له كعبيه بالحجر، ثم حلقت ذقنه وعطرته، وأخذت تغنى له أغانى أم كلثوم التى يحبها وهى تقص أظافره، بينما كان يحاول بكل خياله تصور الأحوال فى الجنة بعد يوم الحساب، وانتهى إلى أنها لن تختلف كثيراً عما هو فيه فبعض ما يستمتع به على يدى محسنة لم يخطر على قلب بعض البشر وإذا كانت الجنة كذلك فعلينا أن نبذل الجهد الخرافى لبلوغها، واستقر فى وعيه بشكل غامض، أن الله ربما يذيقه فى الدنيا بعض ما فى الجنة ليدرك روعتها.

شعر أن جسمه بعد عمليات التنظيف والتجميل يكاد يطير، وخامره إحساس إنه جميل.. ثم قال محدثا نفسه التى يحب الحديث إليها:

- يالروعة الدنيا إذا كانت فيها امرأة مخلصة تحبك، ويا لها من صحراء لعينة إذا خلت منها.

محسنة جارته فى السوق والبيت.. الباب أمام الباب. قلبها دائما على قلبه.سمعها دائما معه، وعينها عليه. قبل أن يفكر فى شيء يتمناه يكون عنده.. لا يصدق هذا القدر من الخير الذى يتفجر منها.. ولول برأسه، وتنهد عميقاً لعل الأسى ينصرف ونور الحقيقة يشرق على الدنيا وعليه.

كان يجلس أمام بضاعته بعد فرشتها بحوالى عشر فرشات إلى جانب الخواجة أقدم بائعى السوق.. تحايلت على جارها بائع لوازم النجارة من الشواكيش والمناشير والفارة والكماشة حتى يتبادل مع المفتح مكانيهما ويأتى ليفرش جوارها حيث تبيع لوازم الخياطة..

الإبر وبكر الخيط والترتر والدبابيس والكباسين وخرج النجف والكستبان والدانتيلا والركامة والأزرار.. كما تبيع المقصات والقصافات والفيونكات.

فوجئ بها تقول له وهو جالس يقرأ القرآن أمام مصائد الفئران التي يبيعها:

- يللا بينا من هنا.

- إيه اللي جرى

لم ترد عليه، مضت يدها في عجلة تنقل مصائد الفئران وتحطها في الأجولة الخيش. ندهت على الولد عزمي ابن سعد الكيال، حمّلته جوالاً وسبقته بجوالين، واحد على رأسها والثاني ضمت عليه ذراعها، وانطلقت تشق الجموع بجسارة ولسانها جاهز للسب إذا اقتضى الأمر، وتكتفي مؤقتاً بقولها:

- وسّع طريق.. وسّع؟

اعتمدت يسراه على عكازه، ومضت يمناه الطليقة تساعده على تفادي الزبائن الذين هم في نظره عميان إلا عما يودون شراءه.. يسيرون بربع انتباه.

كان المفتح أنصح ولد في كتاب الشيخ برهان.. يقرأ الشيخ السورة مرة واحدة. يحفظها المفتح في لحظات ويتلوها بالتجويد، كأنه منذ سنة لا عمل له إلا قراءتها، وحشو رأسه بها.. أشاع عنه بعض الأولاد - وقد تكون رواية صحيحة - إنه كان يتمتم قبل أن يبدأ الشيخ القراءة.

- سنقرؤك فلا تنس.

ويكررها عدة مرات دون أن يدرك بالطبع معانيها إلا عندما شب عقله وامتلك القدرة على التأمل والتفكير..

تعقبته الآذان وهو يتلو القرآن فى البيوت وعلى المقابر، وفى ذكرى الأربعين والخمسان، والجمع والعيدين، وفى معظم شهور رجب وشعبان ورمضان.. كان ذا صوت رخيم يجيد التنغيم.. يصعد ويهبط بالنبرات فى اقتدار ويبتكر فى تقطيع الكلمات، وفى الضغط على بعضها لفتا للعقول والأفهام، ويبدع فى التواشيح والتسابيح ورفع الأدعية والأذان.. وهكذا أصبح مرتبطا بالمقابر دون الاقتراب من مسجد السيدة عائشة إذ حاربوا اعتلاءه المنبر من امتلأت نفوسهم بالحقد عليه إدراكا لقدرته الوحشية المقتحمة.

كان أخوه قد نزل مصر منذ عشرين عاماً بحثاً عن رزق أكبر بدلاً من الفقر المدقع فى قريتهم التى نسيتها الأيام.. ترك الأسرة الصغيرة تمضغ نبات الأرض الجافة وبين ليلة وضحاها أصبح تاجر حبوب، ولما مات الوالد والوالدة بعده، وتزوجت الأخت، لم يكن من بد أن ينتقل المفتح واسمه إبراهيم للإقامة مع أخيه سنوات إلى أن قضت طعنة نجلاء على حياة أخيه الذى اكتشف إبراهيم أن الأخ عاش على عمليات متواصلة من النصب والسرقة والكذب، ومنها إنه باع بيتهم بالقرية دون علم الشيخ، وأزيح الستار عن الخراب فى القرية والقاهرة معا.

بلغ محسنة أن صاحب العمارة التي يقيم فيها الشيخ قد منحه أسبوعاً واحدا مهلة وبعدها عليه إخلاء الشقة.. قفزت إلى عقلها فكرة، تتقرب بها إلى الله بإكرام عبده التقى الموشك على التشرد.

سحبت ولدها وذهبت إليه:

قالت لولدها: سلم على سيدنا الشيخ.

مد الولد ذو السنين الخمس يده الصغيرة وهو متوجس، فنامت في كف الشيخ التي في حجم رأسه.. قال: يا بشرى..

هذا غلام سحبه إليه وقبله.. أجلسه في حجره والولد يقاوم رعباً يستولى عليه.. طلبت إليه أن يتفضل مشكورا بالانتقال إلى بيتها فلديها شقة خالية، واعتذرت لأنها بالدور الثاني وليس الأول.

قال الشيخ: من فَرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

قالت: ح أبعت لك اتنين شبان ينقلوا حاجتك بعد صلاة الجمعة.

قال في حسم: لا أتحرك إلا بعد الاتفاق على الأجرة.

قالت في رقة: ما بين الخيرين حساب.

قال: أبدا..

أذعنت وقد أضمرت خيراً: خلاص يا بركة.. ماشي كلامك.

علم أن الغلام اسمه جمعه، ووالده خميس، وقد رحل، تحدثت عنه بالإعجاب محسنة.. لم يكن في مثله رجل، وقد أقسمت ألا تتزوج من بعده مهما شبع موتاً فلن تمحو ذكراه السنين.

رصت المصائد على الترابيزة وجهزت كرسياً للمفتح، وطلبت له من سيدة العمشة واحد ينسون ولها واحد قرفة، ولمحت المصائد غير مرتبة، قفزت من موضعها لترتبها فى صفوف، وغرست التسعيرة الورقية المكتوب عليها أربع جنيهات للمصيدة، حتى لا يسأله أحد أو يثرثر، من أراد المصيدة دفع الثمن فى صمت ومضى مصحوباً بالسلامة.

تنهدت راضية، فقد ألهمها الله أن تقوم بالواجب إزاء هذا الرجل "الوحدانى" الذى ابتلته الأيام بالمصائب، وسوف تحصل بوجوده البركة لعلها تحميها وهى تستشعر أنها تمشى على الشوك والخطر.. فأر كبير دائم التجوال بأعماقها يثير القلق، ربما بسبب القطيعة بينها وبين أخواتها الذين رفضوا زوجها، وعداوتها لزوجة أبيها "مفراك الشر" وغيرتهم جميعاً من دعم أبيها لها قبل وفاته.. وفوق ذلك ألسنة كثيرة توغر الصدور ضدها فهناك من يكرهون بالجان.

الولد جمعه إلى جوارها بالسوق مشغول بمص القصب الذى كسرته أمه عقلا صغيرة.. يمتص الرحيق ويدخل معه بأعصابه، ويمر به على شدقه وحلقه حتى يسلمه إلى البلعوم ومنه إلى بطنه، لتستمتع بلذة حلاوته السائلة ويواصل الشفط من العقلة.. قضمة بعد قضمة، يشد السائل الحلو كما يشد مدمنو الشيشة أنفاسها، ويروون صدورهم بالهباب المعشوق.

كلما رأته أمه تذكرت أباه الذى كان يشفط دخان الشيشة شفطاً ويود لو أدخل الخرطوم بالكامل إلى رئتيه حتى قضى عليه عشقه الأسود.

عندما نزل ببيت محسنة فوجئ بأن الفئران ترعى فيه بحرية كأنها المُلَّاك، وليس هو أكثر من ضيف عليها، وبالطبع غير مرغوب فيه.. بالليل لا تكف عن الحركة، ولا تترك موضعاً إلا اقتحمته وفتشت فيه بحثاً عما يلائمها من طعام، حتى عِمَّته لم تسلم من العبث وحملات التنقيب، كما أنها عبثت بوجهه وتفحصت معالمه وهو نائم، ونفذت داخل الجلباب، وكم من مرة استيقظ على قرضها سرواله الطويل الضيق!.. كم من مرة سقطت برطمانات وعلب فوق رف عال معلق على الحائط!.. وقد يصحو على جرجرتها مركوبه، وهو في حجم بطة، أو في حجم ذكر أرنب كبير لا يكف عن مطاردة الإناث.

عانى منها إذن كل المعاناة، ولم يفلح في إصابتها إلا واحدا أمسكه وقذفه بشدة في الحائط، وعثرت عليه محسنة في الصباح محطماً وغارقاً في إبريق الماء الكبير، وأكمل كل منهما القصة للأخر.

لا يعرف بالضبط منافذها ولعل لها في الشقة جحورا. ولما خربت له نومه، حكى للسيدة صاحبة البيت فأكدت له إنه لن يراها بعد الليلة، وأرسلت من يشترى لها عدة كيلو جرامات من الأسمنت والرمل، ومضت تسد كل جحر، وقبل أن تغادر.. قالت:

– غداك النهارده علينا يا عم الشيخ.

– يا خبر أبيض ليه التعب يا كريمة

– اسمى محسنة

- لكن بفعلك كريمة

أقسم لها أنه رآها فى الحلم قبل أن ينذره صاحب البيت بالطرد. رأى البيت ينهار على السكان وامرأة جميلة تجره من تحت الأنقاض.. سألته عن الأحلام كيف يراها؟ فأكد أنه يراها بمنتهى الوضوح وأنها فى الأغلب ملونة واضطربت عندما قال لها:

- أدعو الله أن أرى السيدة الجميلة التى أنقذتنى فى الحلم والحقيقة.

بعد أيام فوجئ بالفئران تعود، خرج بنفسه فاشترى مصيدة، وعلّق بلسانها قطعة جبن، وقبل منتصف الليل وفى عز العراك الجسدى انطلق باب المصيدة بعنف لينغلق على الفأر وتبدأ جهوده المحمومة للخروج، كما كانت هناك جهود محمومة لفأر آخر يحاول الدخول فى مصيدة أخرى.

برقت الفكرة فى رأسه.. أن يتاجر فى المصايد، يتخصص فيها دون غيرها، ويعرف بها ولا ينافس أحدا، لكم اشتكى من مساحات الوقت الفارغة.. سأل محسنة. أكدت له أنها لم تر أحدا يبيع المصائد. شجعته، وفى اليوم الأول باع عشر مصايد، وفى اليوم الثانى كذلك واستمر الإقبال عليه.

سأله مداعباً الولد عزمى ابن سعد الكيال:

- افرض حد سهَّاك وسرق مصيدة وما دفعش!!

قال على الفور:

- يبقى دخل المصيدة

لم يبد على عزمي إنه فهم إلا بعد أن أفهمه أبوه .

مصيدة بسيطة عبارة عن صندوق من الأسلاك على قاعدة من الصفيح ، وباب مشدود بياى إلى لسان تعلق فيه من الداخل قطعة الجبن أو الخيار أو الطماطم ، ومن أعلى يتعلق اللسان بسن صغير فى مقبض الباب تعليقة مرهفة جدا ، يكفى الهواء إذا لمس اللسان لينطلق المقبض وينغلق الباب .

- هكذا الحياة . . البيت وصاحبته . . الباعة والسوق . . المقابر والموتى . . الآباء والأبناء . . الزوج والزوجة . . العربة والسائق . . كلها مصايد . . والله فعال لما يريد وهو أحكم الحاكمين .

كان قد فكَّر فى فتح كُتَّاب لتعليم الأولاد القرآن ، لكن فكرة المصايد غلبت والفضل للفئران التى ألهمته الحل حتى يتحرك ويرى الناس ويروه ، ويسمع الأخبار ويتعرف على الحوادث والحكايات . . وليس من المقبول أن تكون حياته جميعها فى المقابر ، أما البيع فى السوق فسوف يسمح له أن يكون مع محسنة دائما . . فهى دليله . . يخرجان معا ويرجعان . .

- شكرا لك يا رب على هذه البوابة الضخمة التى انفتحت وما أجمل الأمل !

توطدت العلاقة بسرعة غريبة . . فوجئ بها تغسل ملابسه وتنظف له الشقة وتعد له الطعام ، واشترت له ملابس داخلية ، وجلبابا صوفياً عندما هجم الشتاء ، ولما حاول مرة تقبيل يدها ، قبلت رأسه ، ولما تكررت المحاولة فوجئت به يحوطها بذراعيه وتغيب

فى دفء أحضانه وجسدها ينتفض ويستسلم، ربما كان غياب بصره مشجعاً إذ تسلل إليها شعور ب-أنها تتذوق بعض شهوات الجسد من وراء ستار ولا عين هناك تراها وهى فى أمان حتى لو تعرت أمامه.

جوعان، غاص فى اللحم الجوعان ونهل من آباره. لكنه كان مشدوها باستشعاره أنه يبصر لا الجلد والأعضاء المشبوبة، ولكنه يبصر ما تحتها وما تحت تحتها من الأفران الموارة.

كان يتصور أنه يرى شريان الشهوة كنهر الحمم قادماً من بؤر مجهولة ويشق طريقه مسرعاً ليشعل الحرائق فى كل الأعضاء والعضلات والأعصاب والدماء، وما يلبث هذا النهر أن تلتهمه هوة سحيقة فتهب العواصف ويجتاح الجميع زلزال هائج.

سألته عن اسمه الحقيقى.

قال: لا اسم لى.. سمينى

ثم استدرك:

- لا داعى أن تختارى لى اسم زوجك

ابتسمت واحتجت:

- ليه.. اسمه جميل.

- لأنك لو ناديتنى به وأنت معى فى خلوة أعتبرك خائنة.

- اسمك اللى فى البطاقة.

- لا يهم.. سمينى أنت لإنى اتولدت على ايديك.

سكتت لحظات وإصبعها على فمها تفكر، ثم قالت:

- يوسف.

- ليه اخترت الاسم ده بالذات

- بحبه

- يبقى إنت زليخة.

مضى يعاتب نفسه لأنه استغل وحدة الجارة وغياب الرجل عنها.. وها هى تسميه يوسف، لكن "يوسف" نبى حماه الله ونجاه "ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء" وهكذا استعصم يوسف لما رأى برهان ربه، ولم أستعصم، واستحللت ما ليس لى. سامحنى يا رب فقد كان مرادى الشكر فقط على ما بذلتْه لى..

رده عقله: يوسف أعرض عن هذا واستغفر لذنبك.

قالت نفسه: لقد شغفتنى يا رب حباً، وأنا من صنعك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. إنك الغفور الرحيم. يا رب إن الشرور تملأ كل ركن، والذنوب تلطخ القلوب، فتجاوز عن سيئاتنا.

نهض فتوضأ وصلى وأخرج من تحت وسادته خمسين جنيها ومر على الشحاذين والمعوزين الذين لا يسالون الناس إلحافا، ودعى الله أن يتقبلها عنه وعنها وإن ساور قلبه الشك، فليس بمقدوره أن يحسب الحسبة الإلهية فيما يختص بالغفران.. وإن مال إلى أن الحسنات يذهبن السيئات. ولكنه حسم الأمر قائلا: لا مفر من الزواج.

شعر بتوازن نسبى فى نفسيته المرتجفة، لا يجب أن يسمح لنفسه وهو حامل القرآن أن يمضى فى عكس اتجاه القرآن وأوامر صاحبه. انحط على الرصيف عندما أخبره شعبان الحانوتى أن زميلهم رضا

الحانوتى وجدوه مذبوحاً فى المقابر.. شملته رعدة وخوف من الزمن والأحوال.. لقد حضر زواجه بجارته مودة منذ شهر فقط.. يا حسرة على العباد.. لم يستطع أن يتذكر من قال له:

- الأيام كحصان سريع الركض، تحملنا إلى المعلوم كما تحملنا إلى المجهول، وهى تعرف كيف ترقص، كما تعرف كيف ترفس.

تنهد ونادى ربه فى الظلمات:

- لازلت أسأل يا رب، هل هى الآجال أم فعل البشر؟.. استغفرك يا كريم وأعلم علم اليقين إنها الآجال.

لم تكن فى البيت عندما عزم على أن يبلغها قراره.. بحث عن ولدها فلم يجده.. الشقة عليها قفل.. إذن فقد سافرت إلى أهلها فى شبين.. كم فكر أن يسألها عن التوتر الناشب بينها وبين أهلها، لكنه كان دائما يقول: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم، لتكن هى الراغبة فى البوح ولا أرغمها عليه.

- هل تنوى يا رب بهذه السرعة أن تسحب عطاياك.

انتبذ له ركنا فى الشارع يقرأ القرآن وظهره إلى المقابر، ثم آب إلى بيته ومضى يصلى ويدعو الله كى يحفظ محسنة من كل شر.. ثلاثة أيام غائبة ما أطولها!.. تغلغل فى نفسه الإحساس بالظلام.

خبطته بشدة طرقات ثقيلة على الباب.. أدرك إنهم الشرطة.. تلا قوله:

- ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه. لن أكتم الحق ولكنى فى رعب.. الموت أرحم من لحظة صادمة فى أعز الناس.

سار معهم إلى الثلاجة، قال :

- دعونى معها وحدى.

قال الضابط : خَلَّص .. عارفين اللى بينكم.

مد يده تحت إبطها وتمنى ألأ يجدها، لكن يده عثرت باللحمية التى تتدلى فى حجم حبة الفول، وتحسس أسفل ظهرها وتعرف على المنطقة الخشنة بمساحة كف.

عندئذ زعق وأطلق آهة طويلة يسيل منها الدم والدموع ونهر عريض من الأوجاع.

- يا سندى ونور عيونى، سيفتح الله نار جهنم على من أنزل بك السوء.

ظل طويلاً يبكى وينتفض.

- لماذا لم تأخذنى أنا ؟ ما ذنبها ؟.. لا تبقنى يوما بعدها.

عجز أن يوقف مسلسل الانهيار.

عاونوه على الخروج من غرفة الثلاجة.. جلس وهو أسوأ حالا من طفل أبكم ضال.. رأى بكل وضوح خواء ناصعاً يملأ ما بين السماء والأرض، لا أحد على الإطلاق يمشى أو يتحرك أو يطير.. لا حيوان ولا شجر.. تسلل إليه حدس أن العالم انتهى وسينفخ فى الصور.

- يبدو أنى دخلت المصيدة وإنها أغلقت علىّ بإحكام. لابد أن أتزوجها فورا.. قولى ورائى : زوجتك نفسى.. قولى.. قولى..لابد أن تصعدى طاهرة.. قولى.

* بعد شهر تقريباً ، ظهر مُلاك جدد للبيت ، طلبوا منه سرعة الإخلاء . . تدخل بعض الجيران . .قال الملاَّك لأحدهم وتكرر مع الآخرين :

- اضرب الأعمى واكسر عصاه . . ما انتش أحكم من اللى عماه .

ولم يجد المفتح من حل إلا اللجوء إلى المقابر حيث عاش مجاورا للراحلين ، ومنهم محسنة التى لم يتوقف حواره معها ، وما عاد أحد يناديه كما كانوا ينادونه فقد حرص على ألاَّ يرى .

من مجموعة " سوق الجمعة"

# يمامة خضراء بكعب محنى

لست أدرى على وجه الدقة السر فى أنى أحببت اليمام أكثر من الحمام، ربما بسبب صوتها الرخيم، وربما بسبب ندرتها وربما بسبب شعورى إنها مسكينة وهيابة تتجنب الزحام والعنف والصخب.. وربما لأنى فى الوقت ذاته أشعر بأنها تتمتع بدرجة كبيرة من الاعتزاز بالنفس كالهدهد.. لكن اليمامة تعتز بتواضع، وتسمو فى أدب وانزواء، أما الهدهد فلديه إحساس زائد بالأهمية، وانتباه حاد للفارق بينه وبين الكائنات الأخرى ويسمح لنفسه بالتعالى، وأحسب أنه محق.

اليمامة فى الأغلب ترفض النزول إلى الأرض والتسكع تحت أقدام المارة أو ركوب البهائم كما يفعل الحمام، وهى تحرص على تجنب عالم المدن المزعجة.. فمن اليسير أن يتعكر مزاجها، ولها

نظرة خاصة فى الأماكن التى يمكن أن تعشش فيها والبيئات التى ترتادها.

تلقيت طعنة وأنا فى نحو الثامنة عندما رأيت بعينى شابا يسقط ببندقيته يمامة من فوق شجرة، وما كان هذا إحساسى عندما اصطاد هو أو غيره العصافير والحمام والبط.. تطور الأمر بشكل صارخ عندما أصر ثرى من أثرياء وكالة البلح على دعوتنا بمناسبة خطبتى لابنته لتناول العشاء فى بيته.

أقام الرجل وليمة كبيرة فوجئت بحجمها فى شقة تحتل دورا كاملا من عمارته، تبلغ مساحتها نحو ثلاثمائة متر، كلها عبارة عن مساحة مفتوحة بلا حوائط، وشعرت كأنى فى ملعب للكرة، يبدو أنه خصصها كمضيفة بخلاف سكنه فى شقة تعلوها بالمساحة ذاتها.

كنا نحو عشرين فردا من الأسرتين.. طعام وفير بشكل مبالغ فيه، مثل الذهب الذى يتدلى من رقاب زوجتيه وبناته السبع ويلتف أساور وثعابين على أذرعهن بما يصدم العيون وهو يومض متكورا ومتكتلا فى أصابع أبنائه الخمسة، وتصورت أن هناك أساور وثعابين وعقارب تلتف حول خصور الزوجات والبنات وأفخاذهن وسيقانهن.

كان فرحا بوجودنا، حاول أن يعبر عن ذلك بكل وسيلة، وعندما قال لوالدى:

- على شرفك يا حاج إبراهيم ذبحنا خمسين زوج يمام.

أسرعت أقول:

- تقصد "حمام"

فانبرى فخورا:

- لا يا أستاذ.. الحمام شيء عادى، ويلزم أن نذبح لكم..

لم أنتظر لأسمع بقية كلامه اللزج.. اندفعت إلى الخارج تاركا كل شئ، وتسببت فى مشكلة، وحرج بالغ للجميع.. لا يهم.

غضب والدى وقاطعنى أسبوعاً لأنه صاحب فكرة الزواج من ابنة هذا الأب القاتل، رغم أن ابنته جميلة وسمينة وطيبة وجاهلة.. غضبت الأسرة كلها بسبب التصرف الأرعن على حد قولهم حتى أخوتى الأصغر.. خامرنى بعد أيام شعور عابر بأنى بالغت وأعطيت التصرف العادى أكبر من حجمه.

منذ أيام حدثنى صديق أنه رأى فى سوق الجمعة يماماً كثيراً وحماماً وعصافير. تحمست لفكرة زيارة السوق لرؤية اليمام والتخفيف عنه بعد مجزرة التاجر السفاح.

أزحت من أجندتى كل انشغالاتى ومضيت إلى هناك.. كان يوما غائماً وغامضاً.. لكنى أكملت طريقى نحو اليمام الذى كنت أربط بينه وبين فاتن حمامة فى شبابها الوديع الذى تجلى فى "صراع فى الوادى" و"سيدة القصر" و"نهر الحب" و"أيامنا الحلوة" و"الباب المفتوح" و"الطريق المسدود" وغيرها كثير غمرتنا به تلك اليمامة.. وكان طبيعياً أن أتحدث عنها إذا لزم الأمر باسم فاتن يمامة.. عزمت أن أنتهز الفرصة وأكتب عن ذلك الكائن الرقيق موضوعا للجريدة.

اليوم ومنذ استيقظت فى الصباح أشعر باختناق لا أعرف سببه ناديت السيدة عائشة التى أسكن بجوارها، وأحس دائما عبير وجودها، وألمس بعض نفحات حضورها النبيل علينا وعلى سكان الحى. بركاتك يا ستنا.. تنهدت وغادرت الفراش.. درت فى الشقة فلم أجد أحداً من العائلة.

تذكرت أن أمى وأخوتى ذهبوا مبكرين لزيارة جدتى فى "تلا" وأعلنتهم فى المساء بعدم رغبتى فى الذهاب معهم.. اعترضت أمى، لكنها اقتنعت لما أنبأتها بقدوم الدورة الشهرية وغالبا ما تهزم جسمى.. البيت يبدو موحشا وسخيفا.. ربما كان هذا هو السبب فيما أحسه.

دخلت كل موضع علّنى أجد ما يلهينى لأخرج من حالتى.. كان كل شىء بدون الأسرة باردا ومملا، مع أنى تصورت قبل أن يغادروا أن الوحدة متعة.. العادة بقدر ما هى مريحة لأنها تنظم السلوك والحياة، إلا أنها فجأة تصبح عبئا ثقيلا إذا انكسرت لأى سبب.

فنجان القهوة لم يؤثر فى نفس ضجرة وعقل مشوش بالرغبات والحواجز والاختيارات المعوقة.. بركاتك يا ستنا.

رن التليفون.. عرفت صوت المتحدث الذى لا يتعب.. يلح من جديد كى أوافق عليه زوجا وقد بلغ الخمسين ومتزوج ولديه خمسة من الأولاد.. لمجرد أنه غنى يتصور أن بإمكانه أن يشترينى وسوف يسيل لعابى، وهو مثل أبيه محمد جرجس بائع الروبابيكيا الذى

ظل يطارد صاحب العمارة التى نقيم فيها حتى اشتراها منه بأكثر من ثمنها ليكون إلى جوار السيدة..

ها هو ابنه يمارس هوايته بلا يأس. لو كان أبى حيا لرده بكلمات لاذعة مع أول محاولة، ومع الثانية يهشم رأسه بعصاته الغليظة.. كان على أبى أن ينتظر قليلا حتى يخلصنا من أمثال هؤلاء الطامعين فى كل شئ.. يتصور ابن محمد جرجس إننا لقمة سهلة.. المال يعمى صاحبه.

وقفت طويلا أمام المرآة.. أخذت أتزين بدون مناسبة فوجئت أن شكلى يمضى فى عكس اتجاه حالتى النفسية.. داخلنى رضا عن عيونى الواسعة ورموشى الطويلة وخدودى الوردية.. مشطت شعرى.. كان سلسا على غير العادة.. لا يعارض المشط عندما يدفعه فى أى اتجاه.. بدا أطول من كل يوم مع أنه فى الأصل قصير.. قفزت فجأة فكرة الخروج.. وتاقت نفسى أن أرتدى التايير الأخضر الذى اشتريته خصيصا منذ شهر لحضور حفل خطوبة زميلتى، ولم ألبسه لأن العريس تراجع.. أنا واثقة أن أمه هى السبب.

لبست التايير ونزلت إلى الشارع.. تنفست الهواء الطازج بعمق.. بدأت نفحات الست تتخللنى. أنا الآن أفضل قليلا.. سوف أتمشى إلى سوق الجمعة الذى لا يبعد غير محطتين أتوبيس.. أتسلى بالمعروضات والأسعار.

ما أن وصلت إلى سوق الجمعة، حتى وقعت عيناى على فتاة رائعة القوام فى اللبس "المحزق" كانت تسبقنى بخطوات.. ساقاها

بيضاوان بضتان.. تايير أخضر زرعى يلف الجسد الممشوق ويظهر مفاتنه. جاكت التايير نصف كم. الذراعان يتدليان ككوزين من عسل والشعر الكستنائى يلامس الكتفين، خصلات قليلة منه شقراء.. ردفاها ممتلئان قليلا.. تبدو طراوتهما فى هزات متوافقة.. تومض بغير بريق.. قدماها فى صندل مكون من شرائط جلدية صفراء وخضراء، يبدو من الخلف كعباها البرتقاليان بالحناء.. لوحة آسرة متحركة ربما تلهينى حتى أعثر على اليمام.. المشهد كله يتميز بالإيقاع الزمانى والمكانى.. الجمالى والحسى.. التاريخ متواطئ مع الجغرافيا لسلب العالم راحته واستقراره.

هذه هى الصورة من الخلف، فماذا عن الصورة من الأمام؟

تجاربى السابقة تقفز إلى رأسى لتنبهنى إلى تقبل الصدمة، فالوجه سيكون وجه عنزة أو خنزير برى، وفى أحسن الحالات مس بيجى سيدة عرائس والت ديزنى. سبقتها بعشرين خطوة ثم عدت لأكون فى مواجهتها حسما للأمر، فلا أحتمل الجمال الخلفى بقبح أمامى.. العدالة والرحمة تقضيان - دون تدخل فى عمل الله - أن تتماثل الصفات.

الغريب أنى وجدت فى المواجهة لوحة من الجمال والجاذبية رغم أن الفم واسع قليلا والأنف طويل قليلا والذقن مدببة، لكن الشفاه دسمة تحمل دعوة ملحة للقبل.. العينان نصف الوجه تؤطرهما رموش طويلة.. بدا تصميم التايير أقل من عادى والقماش رخيص.. لكن البنت فاتنة، والفتنة أشد من القتل.

أخذت موقعى في الخلف مرغما، لأن المقدمة لا تسمح إلا بالعبور فقط قادما من الاتجاه المعاكس، وإذا رغبت فى استمرار مواجهتها فعليَّ أن أسير بظهرى فى يوم الحشر هذا، والمهمة مستحيلة، وعلى فرض حدوثها لعدة أمتار، فسوف أخرج من السوق إلى المستشفى بعد علقة تاريخية يشارك فيها الجميع وإذا تعرف عليَّ أحد من القراء أو الزملاء فسوف تنشرها الصحف.

لا تروقنى حركات هذا الشاب. فهمته من اللحظة الأولى.. إن قل حياءه سيكون نهاره أسود من قرن الخروب.. أقنعت نفسى بعدم التعجل لكنى أعرف أمثاله.. الصندل جاهز فى رجلى.

توقفت أمام بائع ملابس داخلية.. وقف.. يبدو أن اللحظة المناسبة قاربت لأجعله يفيق.. مددت يدى وأمسكت بكلوت بمبى، دائرة على حروفه كلفة حمراء.. فحصت قماشه بين السبابة والإبهام.. لاحظت أنه ابتعد.. لم تعجبنى القماشة اللامعة. كله بوليستر. أمسكت "كلوت" أخر عبارة عن شبكة مع ثلاث وردات حمراء.. واحدة فى كل جانب وفى أسفله وردة كبيرة.. جديد ولكنه لم يعجبنى. سألت البائع عن كلوتات قطن.. هز رأسه يمينا ويسارا وبدا كالمخدر.. لا يكاد يرى من شقوق عينيه. تحركت فى اتجاه الأحزمة الرجالى والحريمى عند البائع التالى.. كان من يتبعنى على بعد ثلاث عربات.. تجاهلته.

ابتعدت عن العربة التى كانت تبيع كلوتات النساء.. سبقتها، حياء من ناحية، ولكى أتمكن من مطالعة الوجه والبشرة الملساء..

الرميل الأخضر خفيف جدا فوق الرموش.. إذا رفعت ستائر رموشها بدت عيونها الجميلة، أهكذا تفعل العيون الجميلة لتحيل عادية الملامح إلى ساحرة.. إن العيون التى فى طرفها حور.. قتلننا ثم لم يحيين قتلانا.

أيها الشاعر مع احترامى لحضرتك أنت لم تر عيون يمامتى.. وقفت قليلا عند بائع الأحزمة.. حومت نظراتها على بضاعته فى لحظة وانتقلت إلى بائع جوارب النساء وملابسهن، وتحولت على عجل بعد لمحة عابرة إلى الملاءات ومفارش الأسرة.. كانت تحمل على ساعدها الأيسر حقيبة من الجلد البنى المحروق، تلتف حولها شرائط صفراء. اجتذبنى الطاووس الذى كان يستقر فوق فردة ثديها الأيسر.. لم يمنع المنديل الأصفر المعلق برقبتها والمتجمع فى فيونكا على جنب مع تمتع الصدر بحريته.. التايير مفتوح من أعلى قليلا بحيث يسمح للثديين أن يتنفسا ويسمح لنظرات العابرين أن تطل على الهضاب المرمرية ذات اللون الأبيض المحمر الذى يستطيع أن يكوى وأن يلدغ، وقد يحدث للبعض دواراً مؤقتا.. لمحتنى فكشرت.

جذبتنى أطقم الصينى للسفرة والشاى والكاكاو.. سألت عن الأسعار.. واضح الفارق بين أسعار السوق وأسعار وسط البلد، أرخص بكثير أسعار السوق حتى من العتبة وشارع عبد العزيز، وأذواق جميلة وخامات ممتازة يمكن مهربة حقيقى حسب أقوالهم.. تفحصت جيدا أطقم المعالق الصينى والفرنسى والبلجيكى.. سوف أدعو أمى لمشاهدة كل هذه المعروضات.. غريبة.. لقد كنت هنا منذ

عدة أشهر ولم يكن السوق بمثل هذا الزحام.. المجنون لا يتركني لحظة.. لا داعي للشدة معه، لكن لابد من زجره بالنظرات لأن المسألة زادت عن حدها.

وقفت عند عربة التماثيل البرونز والسبح والعقود الكهرمان والمباخر والصواني النحاس. سألت عن الأسعار. فكرت أشترى هدية لرئيستي في العمل. لعلها تزيد حوافزى. خمسون جنيها عمياء ماذا تفعل مع الغلاء؟.. اشتريت لها صينية نحاس منقوشة بالأرابيسك شغل خان الخليلي.. أين ذهب بائع لعب الأطفال.. ها هو اشتريت دبا.. الولد ما زال يحاصرني بعينيه.. المسألة باخت.

وقفت أمام بائع السكاكين.. كانت مرصوصة بشكل مرعب كل أحجام السكاكين على اختلاف أصنافها وخاماتها، في المنتصف عدة سواطير.. لماذا تتأملها؟.. التفتت إليَّ.. وصلتني الرسالة. لكني ابتسمت.. همَّت بالتحرك.. قلت أكبح متابعتها قليلاً حتى لا تتبرم وتسئ الظن.. ركزت في السكاكين.. في لحظة عابرة، لاحظت أن السواطير المسنونة تحلم ربما للمرة العاشرة برقبة بقرة سمينة، تتمشى على لحمها المكتنز وتغوص، وعندما ارتطمت بعظمة ارتفعت إلى أعلى وهبطت بعزم سلاحها ففصلت تماما وبلا رجعة الرأس عن البدن.

ارتعدت من حلم السواطير وتفكيرى العبثي.. تحركت دون وعي وفوجئت بأني أوشك على الالتصاق بها.. هبت فيَّ بغضب مكتوم:

- وبعدها معك . . صبرى نفد

كان فى صوتها بحة خشنة لكنها أسرتنى وتمنيت أن أستمع إليها باستمرار . . لست أدرى لماذا لم أنزعج من غضبتها ؟ . . أحسست أنها تحافظ على الشكل فقط ، وأنها فى الحقيقة ليست غاضبة .

عند التماثيل حيث كانت نفرتيتي وحتشبسوت ورمسيس واخناتون وقفت تتأمل فينوس وتمثالها البرونزى . . ما زالت كما كانت منذ آلاف السنين تقف مقطوعة الذراعين . عباءتها توشك أن تنزلق عن الجسد المحموم بوهج الشهوة الصاهل بشوق الانتظار . . هل ثمة علاقة بين ذراعيها الغائبين وحلمها بدفء التحقق الإنسانى . . أحسبها تجاوزت محنتها التى فقدت معها الذراعين ، ومازالت تشعر وتثق أنها لم تفقد شيئا ، وملكاتها ومواهبها لازالت متمتعة بالطاقة الساحرة . . عادت تصب علىَّ نظراتها الساخطة ، وتقيسنى من أعلى إلى أسفل فى احتقار مشكوك فى جديته .

اجتذبنى المعروض من الملابس والأحذية . . سألت عن الأسعار . مفاجأة بدون شك . . اشتريت بلوزة بناتى لأختى جيهان وقميصا مشجرا لأخى الصغير أسامة وبوتا أسود . . الماكر أصبح فى مواجهتى تماما . . وقف يفحص بربع عين وقليل من الاهتمام ربطات العنق والجوارب والمناديل . . يحسب علىَّ كل نظرة . أشعرنى بالارتباك . . الغريب إنه يبدو مهذباً ولا يرتكب ما لا يليق . . لا يلعب بحواجبه ولا يغمز بعينيه ، لا يعطى مواعيد بيديه ولا يقترب أكثر من

اللازم.. لا يحدق فى جسمى بشهوانية.. عندى إحساس إنه لا يتسلى. أعرف ذلك من عيون الشباب أكثر من أى مصدر آخر.. عيناه غير فاجرتين، والأغرب أنى لاحظت فيهما مع الحياء حنانا وطيبة، لكنه يربكنى ويشتت فكرى. انشغل لحظة بإشعال سيجارة.. قميصه البنى جميل. وشعره الأسود الناعم يعجبنى.. أسنانه بيضاء ناصعة ومرصوصة مثل حبات الذرة فى الكوز.. لا يزيد سنه عن ستة وعشرين سنة.. لم أعرف حكايته حتى الآن وماذا يريد منى؟.. هذه المطاردة ليست مجانية.. يكفى ما اشتريته، سأكمل حتى بائعى أسماك الزينة وأرتد عائدة، قد تحدث مشاكل لست مستعدة لها.

اشتريت ولاعة مطلية بالذهب وربطتى عنق وأربعة جوارب، أما هى فقد اشترت قصافة أظافر وبنس للشعر وتوك بلاستيك ملونة مرصوص عليها أرانب صغيرة وجراء وقلوب بيضاء مطعونة بسهام حمراء، واشترت "بوتا" أسود يغطى حتى ما تحت الركبة، واشترت كوفية "كاروهات" أخضر فى أصفر كى تتناسب مع فستانها.

لحتنى فابتسمت.. أخيرا ابتسمت وتخلصت من الاحتقار والنظرات الغاضبة والعبوس.

فجأة وبدون أى مقدمات، ورغم الشمس المشرقة التى تفرش الدفء على الجميع. توترت السماء وتقلبت أمعاؤها وارتجت ثم انهمر المطر.

- عيب عليكى يا مطرة والشمس طالعة.

هكذا كنا نقول ونحن أطفال عن مثل هذه الحالة الدرامية اللذيذة..

في ثواني كان كل شيء في السوق ما عدا البشر طبعا مغطى بمفارش عريضة من البلاستيك السميك الشفاف، وخرجت على عجل بعض الشماسي من أغمادها في آلية لافتة. انطلق الزبائن يركضون في كل اتجاه. ارتبكت الأقدام وارتطمت الأجساد وصرخت النساء صرخات صغيرة مفزعة ومصدومة، لكن الباعة سرعان ما ضحكوا وتبادلوا النكات والسجائر، وعلى وشيش بوابير الجاز وهمس النار الزرقاء للبوتاجازات الصغيرة التي يسمونها "بومبة" وضعت سخانات الشاي والينسون والقرفة.

فجأة أحسست بلسعة برد كأن الكهرباء انقطعت عن الدفاية، وتساقطت بعض قطرات المطر.. اضطربت.. هل ستمطر كثيرا؟.. مستحيل.. رفعت رأسي إلى السماء.. لاحظت أن السماء التي فوقنا فقط يغطيها سحاب أسود ثقيل.. وعن بعد تبدو السماء صافية، والشمس ساطعة ونور النهار يغمر الدنيا.. ستكون ورطة إذا أمطرت بكثافة.. ها هي بالفعل تمطر بشدة.. أصابتني حالة مفاجئة من الغضب بسبب جنون الطبيعة.. كيف أعود الآن بهذه الأحمال والسيارات بعيدة والأرض ستغرق وتمتلئ بالأوحال.. فوجئت بالشاب الهيمان يدنو مني ويقول في لهفة:

- ممكن أشيل معاكي؟

أحتاج فعلا الآن من يحمل عني هذه المشتريات وأركض سريعاً عائدة. الموقف سيسوء أكثر.. أود أن أسبه لتطاوله.. كشرت فقط

في وجهه.. كان جريئا ولكنى كنت فى أمس الحاجة إلى العون..
قلت له فى برود :

– مفيش داعى.. ما أنت شايل.

قال برقة : – أرجوكِ

مددت يدى بكيسين كبيرين.. عندئذ قال :

– يالا نجرى لغاية العربية.

تسمرت فى الأرض واضعة كيسا فوق رأسى.. قال :

– مفيش فرصة.. أرجوكِ

مددت يدى إليها وحملت عنها أكثر ما معها وهى مستسلمة رغم العناد والمكابرة.. عيناها فى عينى كأنها تختبر درجة صدقى ومدى إمكانية الوثوق بى.. قلبى يرقص بين ضلوعى فرحاً بالطبيعة التى تؤازرنى.. لم يذهب هباء حبى للمطر منذ الطفولة.. الناس عنا مشغولة.. الدنيا حط عليها جمال غريب ونادر.. تقدمتها فتبعتنى حتى أول السوق.. كانت سيارتى الصغيرة هناك مغسولة ومتأهبة لى وللضيفة الجميلة.

المطر الذى بدأ شرسا عازما على إغراق الأرض بدأ يخف ويصفى باقى الأوعية فى أناة.. وعندما دخلنا السيارة كان تقريبا قد توقف بعد أن قام بدوره فى مكافأتى على صبرى وتمام رحلتى التى نفذتها بإخلاص فى مرافقة يمامتى الخضراء ذات الكعب المحنى.. والتى تقبع فى وداعة رائعة فى سيارتى المتواضعة.

أنا أكثر منه جنوناً. بل أنا المجنونة التى استسلمت له وقد نزع بكل بساطة أسلحتى، وحمل عنى بعض ما أحمل وسبقنى إلى

سيارته. الأغرب أني أسرعت في أعقابه كأنه أخي أو زوجي ونسيت أنه شخص غريب. لا. لم أكن أجرى لأنه أخذ عنى الهدايا، لكنى كنت أهرب من المطر والورطة والحيرة. كنت مضطربة.. فماذا لو رآني أحد أقاربي وأنا مجرورة إلى هذا الشا ب الغريب؟.. ماذا يمكن أن يقول؟.. عزمت ألا أدخل السيارة.. سأرفض بشدة. أى سيارة أجرة يمكن أن تقلنى إلى البيت. نعم. فتح لى الباب وقال: تفضلى.. سيارة بيضاء. كانت تبتسم وتمد لى يديها، والباب إلى نهايته مفتوح وبدا الكرسي مريحاً ودافئاً.. طفلة صغيرة تتدلى من المرآة الأمامية.

بمنتهى الرقة قال: - أرجوكِ

فكك كل أعصابى وأسال إرادتى.. قضى تماماً على قرارى بعدم الركوب معه.. يارب ما كل هذا السحر فى كلمة: أرجوكِ!! وما كل هذا الحنان في الطريقة التى نطق بها الحروف.. هذه الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة، تساوى أغلى كنوز الأرض إذا كان رجالها بهذه الرقة.

كانت كلمة "أرجوكِ" وهى تتهادى وتنحنى وتتلوى خارجة من فمه كأنها معطف من الفرو أرتديه فى عز الشتاء، وكانت سريرا من الحرير أتمرغ عليه في عز الصيف.

أغمضت عينى لحظات حتى أختبئ من نفسى اللوامة.. قررت أن أصبر حتى ألملم شتاتى المبعثر فى كل اتجاه، ثم أذهب بمنتهى الحسم.

كنت قد عزمت أن أتحدث إليها قليلا ونحن جالسين في سيارة متوقفة لكي أعرفها بنفسي وأسألها عن نفسها ، لكنني خشيت أن تكتشف انقشاع الغمام وتوقف المطر ، فأدرت السيارة وانطلقت ، ثم أخذت نفساً عميقاً لأفرغ روحي وأمهدها لمرحلة تالية . . أخذت تسوي شعرها وتنفض حبات المطر البللورية عن رأسها وصدرها .

ناولتها جاكتا صيفيا كان على الكنبة الخلفية ، طلبت منها أن ترتديه . . رفضت . . قلت لها : أرجوكِ

نظرت إليَّ بدهشة ورضا . . ثم مدت يدها في تردد وأخذت الجاكت . . ساعدتها على ارتدائه . . سألتها بعد لحظات :

- إنت دفيانة ؟ .

هزت رأسها وتنهدت وهي لا تزال منكمشة . . مضينا نتبادل الحديث الذي يزرع حديقة كاملة بالسعادة ، وسطحا عامرا باليمام . . ما أجمل تلك اليمامة التي أهدتها إليَّ العناية الإلهية ! .

عندما حط فوق كتفي جاكتا خفيفا ذا لون غريب نسبيا إذ صممه فنان مجنون ألقى بفرشاته لطشات صفراء بلا ملامح محددة على أرضية بنية ، قال لي : إنت دفيانة .

لم أجد الكلمات . . في الحقيقة وجدتها ، لكنني لم أستطع النطق بها . اختفى صوتي وتعثرت حنجرتي وشعرت بالظمأ . هززت رأسي شاردة . . كان الماكر قد قضى عليَّ . . لكنني تذكرت السيدة عائشة . . جارتي الملهمة . . قلت في أعماقي وأنا أشعر بالنشوة : بركاتك يا ستنا .

من مجموعة "سوق الجمعة"

# فى عين العدو

عندما انهمر الليل سهر أهالى الحى جميعا داخل بيوتهم وقد أغلقوا الأبواب بإحكام شديد.

تفننوا فى سد المنافذ والأسطح. مضى الوقت ثقيلا والقلوب تدق الصدور مثل الطبول.

الكل يحدق والقليلون يهمسون.

الرءوس تكاد تحترق من التفكير وبركان الظنون.

طلبت الأمهات من أولادهن النوم فلم يستجيبوا،

كانوا يرسمون صورة عملاق أقرع ذى وجه جهم يفوح شرا

تخطف القلوب عيونه الواسعة جدا،

أنف كبير أفطس وأذنان كبيرتان وشارب كث،

ساقاه طويلتان تختفيان داخل حذاء بنى غامق طويل يكاد يبلغ الركبة.

الخناجر فى فمه وفى يديه و مدسوسة فى عشرة جيوب ومعلق بعضها فى كتفيه.

سقط أغلب الناس بعد الفجر بقليل صرعى شراب النوم المسكر.

ظل بعض الرجال مفتوحى العيون.. يد على السلاح ويد تقبض على مطرقة.

يد على فأس ويد على عصا غليظة،

يد تمسك بسكين كبيرة ويد تقبض على خنجر مسنون

اعتاد أن يهاجم القرية أسبوعيا كل خميس،

اعتادوا أن يُخمسوا قبل مجيئه بكل الخمسات والأخمسة،

لم يعد يوم الخميس عيدا للأزواج والزوجات ولا يوم احتفال للعرسان.

ولا يوما للولائم التى قد يقيمها المستورون وفاء للنذور

لأول مرة يخلف موعده ويترك بدلا منه حاضرة بقوة.. شياطين القلق والتوجس والتوقعات المرعبة

أشرقت شمس الجمعة ولم يظهر عدوهم،

رجل ضخم جبار يأكل لحوم البشر نيئة إذا لم يضع أهل القرية بين يديه الذهب والفضة والأموال.

وكافة ما يملكون مما خف وزنه وغلا ثمنه

لا يستخدم غير الخناجر التى يصوبها بإتقان غريب

أشرقت الشمس ولم يظهر،

ظلت الأبواب مغلقة بإحكام والأطفال ممنوعون من الخروج لأى سبب

توقع الأهالى أن يظهر خلال النهار فلم يظهر،

فى المساء عادت القلوب تطرق الصدور كيد ثقيلة تدق طبولا ضخمة.

نفذت فى أرواح الجميع أنياب الغضب.. كان يجب أن يظهر بدلا من الانتظار القاتل.

تمتمت العجائز: وقوع القضا ولا انتظاره

إغلاق الأبواب سجن وعدم حضوره قلقٌ وهم،

لم يأت لأيام ثلاثة.. تداعت الأجسام وتعطلت الأعمال وغاب الصغار عن المدارس ولم تخرج النسوة إلى النهر لجلب الماء

ما عاد هناك بالبيوت طعام غير الخبز الذى أوشك على النفاد

بينما يراقب الرجال أول الطريق من ناحية الجبل والنهر عبر المزاغل والثقوب الصغيرة.

بدت عالية كبالون كرة كبيرة من الغبار الذى حجب الرؤية

ظهرت من وراء الأشجار عربة جيب تتقدم بسرعة نحو قلب القرية حيث المسجد والدكاكين المغلقة.

العربة يقودها جندى بينما هناك ضابط يقبض على عصا طويلة مشرعة كسارى عَلم تنتهى بكتلة مستديرة.

كانت رأس عدوهم الجبار.. يقطر الدم من ملامحها الشوهاء

ظلت الأبواب مغلقة لا تصدق أن الرأس المقطوعة رأس من يدفنهم كل يوم أحياء.

أخيرا . . انفتحت الأبواب وارتطمت مصاريعها بالجدران
هلل الجميع دون استثناء وركضوا كالبلهاء
مضوا يرقصون حول الرأس المقطوعة التى كانت لا تزال تبث الرعب
حدّقوا فيها وبصقوا عليها
حاول فتى أن يدس عصاه فى عين العدو . منعه الضابط
حملوا الضابط على أعناقهم وطافوا به حول المسجد واخترقوا كثيرا من الشوارع والحارات
سألته النساء عن اسمه ليُسمين به كل مواليدهن طوال العام
أصر الرجال على إقامة وليمة كبيرة على شرف الضابط
بعد ساعات وصلت قوة من رجال الشرطة . . قبضوا على الضابط
صدر الحكم الفورى عليه بالسجن عشر سنوات .أصيب أهل القرية جميعا بالذهول
تجمدت الكلاب والقطط والخراف والخيول
مشهد ثابت لبشر موتى أحياء
بعد لحظات من الغياب مرّت كعام ، تراجع الذهول
حل محله تنهدات وحيرة وعجز ، كانوا يعرفون أن عدوهم من أخلص خُدّام الحاكم الأكبر
لم تستطع القلوب مقاومة الحنق والاستياء ، بينما الجنود يضعون بعناية كتلة الرأس
ذات الملامح الأسطورية المتوعدة داخل كيس من الخيش الأبيض

اندفعت السيارة المتجهمة تحفر الأرض وتهيل التراب على كل شيء

العيون معلقة بها، بينما الغبار المثار يتحول إلى ركام عال من الأسئلة المبهمة.

ثقلت الرءوس بما يطحنها وانحنت على الأعناق ثم ارتفعت لحظات إلى السماء.

انطلقت فجأة من حناجر الصغار صيحات الفرح،

مضوا يمرحون ويركضون ويتراقصون مع الريح..

بعضهم رسم على الحيطان وجها كبيرا لرجل واسع العينين كث الشارب.

بدءوا يتسابقون فى تصويب الحصى إلى عينيه،

الرجال فى صمت مريب جلسوا على الأرض يلفهم سهوم، يحدقون فى الفضاء كأن عزيزا عليهم فقدوه.

من مجموعة " وقت إضافى للغرام وتكسير العظام "

## سد الفراغ

لم يحدث أن تنكر لماضيه
يعترف ببساطة ولأى إنسان
أنه لم يسكن يوما فى بيت له جدران
وأنه طوال عمره بلا أهل، وبلا أصدقاء حقيقيين
منذ تفتح وعيه وهو فى الرابعة أو الخامسة أدرك أنه شقيق الأرصفة
أمه الحدائق وأبوه الجسر الحديدى..
الأولاد الملوثون بالقمامة والجوع والحرمان والحقد هم أخوته.
هم أخوته لأنه إذ ينام بداخل جلودهم يسرى فى بدنه الدفء الذى يغمض جفنيه إلى أن يشرق الصباح،
أو ينقر الندى الوجوه النحيلة.

بقية أهله الذين لا يكفون عن التواصل معه هم الكلاب والقطط والفئران والعرَس والأبراص.

الصراصير وأسراب النمل وفرس النبى والبق والناموس ومياه الصرف الصحى والبرد القارص.

هل يدهشكم ويثير فضولكم إذا علمتم أن جاد الرب ياسين لم يشعر بالحزن يوما ؟!

كان يحدق في كل شيء ويحاول أن يعرف كل شيء مهما كان تافها،

يسأل كثيرا ويتمعن في التفاصيل والأسباب خاصة إذا نام تحت السيارات أوفي زورق أو في ماسورة ..

صناديق القمامة كانت كتابا ضخما مدججا بالمعارف،

هي المدارس الحقيقية التي تلقى فيها العلم دون معلم.

رأسه صغيرة جدا مثل رأس نسناس. عيونه دقيقة جدا ولامعة كعيون فأر.

اعتادت التفتيش في كل شيء والبحث عن العلاقة بينها وبين غيرها.

كان يدرك ولا أحد ولا هو نفسه يعرف من أين توصّل لهذه الفكرة

أن هناك علاقات غير محدودة بين الأشياء.

يتصور أن هناك رابطة بين القمر والنملة. بين الحصان والقلم.

هناك صلة بين الشجر والأحلام.. بين الذهب والقمامة.

احتاج أن يتعلم القراءة والكتابة، واحتاج إلى غرفة لا لينام فيها لكن ليتخذها مخزنا للأجهزة التى تعطلت وألقاها أصحابها على قارعة الطرق.

يسهر معها الليالى باحثا عن سر عجزها.

ربما مائة مرة استطاع فيها إصلاح العطب فى الأجهزة خلال دقائق.

كانت تفتقد فقط مجرد تدليك أسطح المعادن الموصلة أو مسمارا أو صامولة.

أو قطعة من الكاوتشوك أو سلك كهرباء سليم أو مفتاح تشغيل أو قلم بطارية جديد،

غالبا ما كان يسرق ما يحتاج إليه. ولم يسرق مطلقا إلا ما يحتاج إليه فقط.

تعرفت عليه عندما رافقت جارى الذى يعتزم شراء كومبيوتر مستعمل.

البائع فى بولاق أبو العلا بالقرب من وكالة البلح،

هناك عثرت على ثلاجة تشبه تماما ثلاجة تخلصنا منها منذ شهور،

متأكد جدا أنها ثلاجتنا.

تذكرت أنى حفرت اسمى عليها فى أسفل أحد الأجناب.

درت أبحث عنه حتى وجدته. ضحكت وسألته عن الثمن فقال: خمسمائة جنيه..

عدت أضحك . .

عملي بالصحافة دفعني لتأكيد صداقتي به والحوار معه . .

كتبت عن مهاراته وقصصه الغريبة عدة حوارات نشرت في مجلات وصحف مختلفة .

عندما بلغ جاد الرب ياسين السابعة والثلاثين أصبح لديه في البنك ثلاثون مليونا من الجنيهات .

لم يعرف طعم السجائر ولم يقرب الخمر مطلقا .

لم يلبس في العام الواحد إلا ثلاثة بنطلونات وثلاثة قمصان

كانت حتى بلغ العشرين من القمامة ، ثم صار يشتريها من أرصفة وكالة البلح .

أهم مصادر ثروته نشأت من تجميعه لقطع غيار السيارات ومختلف الأجهزة ،

ثم أصبح يشترى السيارات المحطمة والقديمة بتراب الفلوس

يجددها ثم يبيعها ليكسب عشرات الآلاف من الجنيهات .

اخترع أجهزة كثيرة وإن كانت بسيطة تناسب المطابخ والتلاميذ والمكاتب ولصوص الشقق والسيارات .

هذه الأيام يستعد لافتتاح مصنع سيارات توك توك .

ما أجملها زوجته ! وما أروعهم أولاده الصغار ! . . أشعر بسعادة وراحة كلما زرتهم .

ربما أكون صديقه الوحيد .

دأب طيفها على زيارتي في صحوي ونومي . . من أين التقطها

هذا الشحاذ خريج الأرصفة والجحور؟.

نظام دقيق ومحكم وضعه كى يجمع بين الجمال الأنثوى النادر وصعود سلم الثراء

لكم تساءلت طويلا بل أحيانا فى أحلامى عن سر قدراته الخرافية

كيف حقق التوازن بين الحب وتأسيس عمارات شاهقة دون أن يسعى للسلطة دون أن يتملق رجالاتها الجهلاء أصحاب الكروش.

بالقياس لأمثاله من الصاعدين فهو مختلف لأنه يغرد خارج السرب.

رحل صديقى فجأة الأسبوع الماضى.أزمة قلبية.. غيبتنى الدهشة عن الوعى لحظات.

لم يمرض يوما ولم يتألم حتى من صداع أو مغص.

فى آخر حديث بيننا شكوت له حال المؤسسة الصحفية التى تضم من أمثالى المئات.

حدثته عن انسداد الطريق وتقلب الأحوال حسب الرؤساء ومعظمهم منافق ووصولى.

كنت فى بيته قبل أيام نحتفل بعيد ميلاد ابنته الكبرى وداد وحملت لها الهدايا.

غنى ورقص وألقى النكات وضحك كثيرا والتقط الصور.

التقطت لهم جميعا الصور.. حالة لم يسبق أن رأيته عليها فلم يكن يبدد الوقت.

كان دوما يقول : العمر قصير والمتاح منه يكفى بالكاد للعمل فقط .

سأبذل قصارى جهدى وسأتنازل عن كل شيء لأسد بنفسى الفراغ الذى خلفه

لقد ترك الجنة فى يد الجميلة ، وقد فتح الله لى نافذة تطل على الجنة .

**من مجموعة " وقت إضافى للغرام وتكسير العظام "**

## صدرت للكاتب الأعمال التالية

**أولا : الرواية (١٩)**

- السقف - الناب الأزرق - أشجان - عشق الاخرس - شفيقة وسرها الباتع - موسم العنف الجميل - عصر واوا - بذور الغواية - حكمة العائلة المجنونة - الحمامة البرية - روح محبات - رتق الشراع - قبلة الحياة - أبقى الباب مفتوحا - كسبان حتة - المفتون - نساء وألغام - رجل الغابة الوحيد - دولة العقرب •

*** ثانيا : مجموعات القصص القصيرة ( ١٢ )**

- عقدة النساء - كلام الليل - العجز - عسل الشمس - شدو البلابل والكبرياء - الغندورة - زهرة البستان - قناديل - رائحة الوداع - سوق الجمعة - حدثني عن البنات - ميلاد في التحرير - كلب بني غامق (مترجمة ) - المجلد الأول من الأعمال الكاملة

*** ثالثا : الدراسات : ( ١٢ )**

- شيخ النقاد "محمدمندور" -عاشق الحرية "احسان عبد القدوس" - كاتب العربية الأول "نجيب محفوظ" - أدب الرحلة في التراث العربي - رؤية تمهيدية لرعاية الموهوبين - كيف تختار زوجتك؟ - صناعة التقدم في مصر - فن كتابة القصة - ثقافة المصريين - تجليات القلب المضيء - صهيل الكتابة - صلاح جاهين روح مصر الشاعرة

*** رابعا : روايات وقصص للأطفال(٦)**

- مغامرة فى الهرم - مدينة الدخان - التوأم الرائع - الساحرة والملك - ذقن الباشا .. خط أحمر- الولد الذهبى "مجموعة"

*** خامسا : عشرات المقالات الثقافية والسياسية والاجتماعية**

- عن أحوال مصر والعالم العربى - رسائل علمية عن الكاتب

حصل ثلاثة باحثين على درجة الدكتوراة عن أدبه القصصى والروائى ( منها واحدة بالإنجليزية )

حصل باحثان على درجة الماجستير عن أدبه الروائى والقصصى

يعد باحثان رسالتى ماجستير عن التجريب الفنى فى رواياته

صدرت عن إبداعاته نحو مائة وعشرين مقالة نقدية

التقدير والتكريم

ورد اسمه مع بيان بأعماله فى موسوعة " الشخصيات القومية البارزة " إصدار الهيئة العامة للاستعلامات

ورد اسمه مع بيان بأعماله فى موسوعة " أعلام الفكر العربى" إصدار مكتبة مصر

ورد اسمه وبيان بأعماله فى " موسوعة أعلام القليوبية "

ورد اسمه مع بيان بأعماله فى " قاموس الأدب العربى الحديث,, إصدار دار الشروق

حاز كأس القبانى لأفضل مجموعة قصصية عام ١٩٧٩

حاز جائزة نجيب محفوظ للرواية فى الوطن العربى من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٤

حاز جائزة الدولة للتفوق فى الآداب عام ٢٠٠٤

حاز جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ٢٠١٠

حاز جائزة الطيب صالح فى القصة القصيرة عام ٢٠١١

# المحتوى


- مظاهرة بالآيس كريم ........ 5
- الحب على كرسي متحرك ........ 17
- نزهة فى حدائق الألم ........ 33
- أردته جبانا ........ 51
- حدثني عن البنات ........ 63
- ثمر الجنة ........ 71
- زنجبارى ........ 89
- المصيدة ........ 103
- يمامة خضراء بكعب محنى ........ 121
- فى عين العدو ........ 137
- سد فراغ ........ 143

**للنشر فى السلسلة :**

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .



يحتاج المبدع، من حين لآخر، وبعد رحلة طويلة مع الكلمة لأن يصطفى بعضاً من إبداعاته الشعرية أو القصصية ليقدمها لقرائه حتى يتسنى لهم الإلمام بتجربته الإبداعية في صورتها الكاملة.

لذا فكانت هذه السلسلة "مختارات" للقيام بهذا الدور، وهى تحاول جاهدة تقديم أجمل النصوص لأهم مبدعينا المصريين الموجودين على الساحة.













www.gocp.gov.eg

الثمن: جنيهان